الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر وفى نصف

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠	فى مصر والسودان
٥٠	فى الممالك الأخرى
١	ثمن العدد الواحد

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

العدد ٦٤ | أول شعبان سنة ١٣٥٨ — ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٩ | السنة الثالثة

فهرس العدد

صفحة			
٨٩٨	المفارقات فى الحب	للكاتب الفرنسى كاتيل مندى	بقلم الأستاذ صالح الحاكم ...
٩٠١	الكذبة	للقصصى الروسى بانتليموف رومانوف	بقلم الأستاذ فخرى شهاب السيدى
٩٠٥	عم جديد	أقصوصة عراقية	بقلم الأستاذ فيصل عبدالله ...
٩١٠	اعترافات سجين	للقصصى الفرنسى موباسان ...	بقلم الأستاذ ناجى الطنطاوى ...
٩٢٠	المنفى	للقصصى الروسى تولستوى ...	بقلم الأديب مصطفى مشعل ...
٩٢٥	نقرة جديدة — حب ...	للكاتب الأمريكى كارول هاردنج	بقلم الأديب أبو بكر على ...
٩٣٠	الحلم والحقيقة	عن الانجليزية	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

المنافقات في الحب

للكاتب الفرنسي كاتيل مندز

بقلم الأستاذ صالح أحمد الهاكع

في إحدى الأمسيات المقمرة يممت شطر دار صديق (ت) الذي يقطن منزلاً صيفياً جميلاً في إحدى ضواحي المدينة فوجدته يتوسط رهطاً من إخوانه تحت عريش وهم يسمرون

وكان الحاضرون ثلاثة رجال غير صديقي رب الدار عرفت من بينهم الكاتب (ع) الذي سجل اسمه بين الخالدين بآثاره في فني الشعر والقصص، والذي يحمل وجهاً بينه وبين الجمال ما بين الماء والنار وطبيباً كانت له يوماً شهرة في ميدان الحب، أما الثالث فسمعتهم يلقبونه بالأستاذ ولم أعرف على وجه التحقيق أهو محام أو معلم

فما كدت أجلس بينهم حتى وجدتهم آخذين بأطراف الحديث ما بين أدب وسياسة ودعابة إلى أن انتقل الكلام إلى موضوع الحب فقال رب الدار: «إن أعجب فمعجبٌ أن يرى الإنسان غادة هيفاء ملكت من الجمال والرقة والكمال غاية ما تصبو إليه النفس، تعشق رجلاً قبيح الوجه بشع السحنة كريه المنظر لا يزينه أدب وليس له من نباهة الذكر أو علو القدر ما يبرر هذا الشذوذ في الاختيار، وإني لا أدري أية غشاوة غشت عينيها فمنعتها من النظر إلى الحقيقة»

فأجابه الطبيب: «إن المرأة إذ تستسلم لرجل لا تخضع لشخص الحبيب ولكنها تخضع لنفسها ولنفسها فقط — لظروف خاصة بها ليس للحبيب دخل فيها مطلقاً — فهيامه وإخلاصه وتوسلاته الطويلة وتضحياته الغالية لم تكن عاملاً من عوامل استسلامها. فانتصار الحبيب في هذه الحال أشبه من كل الوجوه بانتصار قائد استسلم له العدو بعد أن أنهكه الجوع والمرض لا عقب هزيمة في واقعة من المواقع!! وأنا أوقن بأنه لو كان أي رجل آخر مكانه وفي الظروف التي وجد فيها لما كان أقل حظاً منه عند المحبوبة، وحسن البلاهة وقبح الوجه ليسا دائماً عقبة في سبيل الحب؟

ولو لم يكن ذلك كذلك ... ولو لم تكن المرأة تستسلم لعوامل خاصة وبعيدة عن الحب الذي تدعيه — بل عن الحب الذي تشعر به — فلأي أمر يمكن أن يُنسبَ سوء اختيارها المألوف؟ فكثيراً ما نرى غواني هيفاوات يَهِمْن بحب خادم حقير، وملكات عظيمات يقعن في حب وَشْبٍ كريه المنظر

وقد تساءل الأستاذ: «هل من الممكن لمثل هذا الحب أن يستمر؟» وكان أديبنا الخالد في غضون هذا الحديث صامتاً لا ينطق ببنت شفة مطرقاً برأسه وهو ينكت[1] الأرض بقضيب[2] كان في يده شأن المفكر

(١) يضرب الأرض (٢) القضيب ويطلق على العصى

وكأن هذا التساؤل قد حرك فى نفسه ذكريات قديمة فانقبضت أساريره وأجاب : « لا أظن أن هناك دواماً لمثل هذا الحب، وسأطرفكم بواقعة حال ربما رأى بعضكم أن صاحبها محق وربما آخذه البعض الآخر ، غير أنه يمكن القول أن بطل القصة يشعر براحة ضميره للخطة التى اختطها

حدث ذات مرة أن أحبت فتاة جميلة وصغيرة شخصاً قبيح الوجه نَصَفاً[1] نظراً لشرف قلبه وعلو روحه ونباهة ذكره ولأنه كان يحمل اسماً من الأسماء التى ترددها الألسن كل يوم فى إعجاب وتقدير ! وكان هذا الشخص يذوب جوى فى حبها غير أنه كان أعقل من أن يطلب الحصول على يدها . فلما رأت منه ذلك عزمت على أن تكون هى البادئة ، وأتت إليه ذات يوم وهى تمشى على استحياء وقد زان جيدها عقد من لؤلؤ ثمين وبادرته قائلة :

— إن جميع الشبان يخطبون ودى ويطمعون فى قربى ولكنى لم أختر سواك !

وكان هذا الرجل مشهوراً بثقوب البصيرة وبعد النظر وأصالة الرأى . فلم يكد يسمع منها هذا القول حتى شعر بما يشعر به راكب البحر من الهُدام[2] ولكنه تمالك نفسه ، ورغم توله فى حبها دفعها عنه فى حزن قائلاً :

أنت تحبيننى وتنتظرين منى أن آخذك لنفسى فبأى حق يكون ذلك ؟ إن اسمى لا يعادل هذا الحب إن كان هو البدل ، فأنت تقدمين لى ابتساماتك الملائكية وجسمك البض وقوامك الشبيه بغصن يتمايل عُجْباً مع الريح . . . أما أنا فأهبك شخصى وهو كظلام الشتاء ، فأنا إله الحب وأنت إلهة الجمال . لا تقولى إن رقة أخلاق وسمو نفسى وعلو شأنى قد غيرت مظهرى فى نظرك ، وأنك ترين فى شخصى حبيبك المُتَصوَّر ، لأنه سوف يأتى يوم قريب جداً ترينَنى فيه على حقيقتى وحينئذ تكون الطامة الكبرى ليس بالنسبة لك فقط ، أنت التى ستبكين حيث لا ينفع البكاء ، وستذكرين مع الألم أولئك الشبان الظرفاء الذين سمحت لنفسك أن تطردهم من أجلى منذ زمن وجيز ، ولكن بالنسبة لى أيضاً .. أنا الذى سأقاسى الأهوال لحزنك المشروع . . . أنا الذى سأحتقر نفسى وآلم أشد الألم كلما نظرتُ إلى وجهى فى المرآة !

فيا عزيزتى البلهاء تباعدى عنى واذهبى إلى الشخص الذى يستحقك وأعطِ شبابك لشبابه ، وابتساماتك لابتساماته ، وظرفك لظرفه ، لأن الورود الحمراء لا تلتئم إلا مع الفل ، والضوء لا يعادله إلا النور ، وليس هناك أسوأ نتيجة ولا أكثر حماقة من قِران القبح بالجمال . . . ولا شك أننى سأقتلك أو أقتل نفسى إذ رأيتك فى غدِ زواجنا تنظرين بتلهف إلى شاب جميل يمر علينا . . . واعلمى جيداً أنك لن تتألمى فقط من انخداعك فى شخصى وغيرتى عليك ولكن سيحدث يا صديقتى العزيزة أن يأتى يوم تفقدين فيه جمالك لكبرى وبشاعتى فإن معاشرة الهرم تهرم ، فقبلتى المموجة ستذهب بنضارة شفاهك ، ونظراتى المتمة ستخمد ضوء عينيك ، وشكلى المظلم سينعكس على شكلك المنير كما ينعكس شكل الأرض على القمر فيصيبه الخسوف

أليس إلقاء الأقذار فى نبع رائق المياه مما يُعكِّرُه ؟ ومن يدرى ؟ ربما كان من سوء حظك وحظى أن أبغضك فى المستقبل للقبح الذى قبسته منى . وهبى أنك ستبقين شابة جميلة ؟ وهبى أن حماستك فى حبى ستستمر وأنك ستنتظرين إلىّ أبداً بعينك

(١) النصف للرجل والمرأة التى ما بين الحدثة والمسنة
(٢) دوار البحر

الأولى ، مع ذلك فتى أن السعادة مستحيلة على بين أحضانك . فأنا أحبك كما تشعرين وأنت واثقة من أن مجرد الفكر بوضعك فاك على فمى وتديبك على صدرى وشعرك المحلول على وجهى يحدث بى هزة من أعلى رأسى إلى أخمص قدمى، ولكن إذا حدث هذا فعلاً فعوضاً عن أصوات المرح والبهجة التى تنتظرين سماعها منى سترينني فى أكأب حال . فيالبؤسى ويا لشقائى لأن الخجل من قبلتى سينسينى قبلتك . ستلمسينني أنت الجميلة ، وسأشعر فى نفسي بأننى ألمسك أنا القبيح

أليس مما يدعو إلى العجب أن نسمع كل يوم أناساً يغبطون رجلاً كهلاً لحصوله على يد عذراء جميلة ، ومُموّلاً غِرّاً ثقيلاً يشوه الصلع رأسه لشرائه قرب ممثلة فاتنة ! تراهم يقولون : « ها هو ذا رجل سعيد » أو « ليس لهذا الرجل أن يشكو شيئاً فقد نال الحظوة عند أجمل النساء »

وفى الواقع يُسَر متقدمو السن هؤلاء بزواجهم من شابة صغيرة أو بحصولهم على معاشرة مخلوقة فتانة، ولكن هل سرورهم هذا طبعى ؟ أو لا يعلمون أن الشباب والجمال ضروريان للزوج أو الحبيب كما هما ضروريان للحليلة أو الخليلة ، وأنه لا بد من توفرهما فى كلا الشخصين لكى يتولد بينهما الحب الذى هو رأس كل سعادة . حقيقة سينعمون بوصال هذه الفاتنة ولكن ألا يخجلهم أن يَرَوْا بجانب خُصَيلات شعرها الذهبى بقايا شعرهم الأغبر، وبقرب صدورهم الخشنة صدرها الأملس، وبجانب تلك السيقان المليئة والتى هى فى نعومة الحرير وبياض الثلج سيقانهم التى هى عبارة عن عظام نخرة طويلة ؟

فهل يكفيهم أن تكون حبيبتهم جميلة ؟ وهل يعتقدون أن القبلة يصح أن تكون من طرف واحد ؟ أو لا يشعرون بثقل أنفاسهم عند ما يتقدمون بها؟ وهلا يخطر لهؤلاء الأنانيين أنه يجب أن يكون كل من الحبيب والمحبوبة فى شكل واحد لكى ترى فيه خيال نفسها ؟

فأشخاص كهؤلاء أشبه بذلك الموسيقى المغرور بنفسه والذى كان يوقع أنغاماً مليئة بالنشوز مع زميل له وقد اعتقد لضيق عقله بأنه لو ترك بمفرده لانصلحت الأنشودة ولسمع الناس منه أنغاماً غاية فى الطرب!

فيأيها البائسون الأغبياء ، اعلموا أن اتحاد العاطفتين عند الحبيب والمحبوبة هو الذى يؤدى إلى تعادل السرور فى الحب ! لكل هذه الأسباب أقول لك يا أعز مخلوقة لدى : تباعدى عنى لأننى لا أرغب فى إساءة استعمال لطفك ، فأنت تفكرين فى تقديم السعادة لى ، ولكن بكل أسف لا يمكنك أن تعطينى إياها ، لأنها تتوقف على شخصى وليست متوقفة عليك ؟

فاحتقارى لنفسى سيكون سبباً فى تكدير سرورى بالحصول عليك . وعليه فأنا أفضل بعدك عن قربك ، أنا الذى أرغب فيك من كل نفسى لن أوافق على هذا الزواج الذى أنا مستعد لأن أهب فى سبيله حياتى ، إلا إذا كنت من الآلهة وكان فى مقدورك بنظرة أو إيماءة أن تجعلى الشعر ينبت من جديد فى رأسى الجرداء وأن تزهر على خدى وردة الشباب الحمراء

وما إن وصل أديبنا إلى هذا الحد من الكلام حتى كانت الدموع تملأ عينيه وحتى هَبّ واقفاً وسلم وانصرف ! .

صالح أحمد الهراكع
مدير الادارة المالية بوزارة المواصلات

الكذبة ...

لأنطون الروسي باسيليوفتش رومانوف
بقلم الأستاذ فخري شهاب السعيدي

كانت الغرفة مبعثرة الأثاث ؛ وكان هو جالساً إلى مكتب قد انتثرت عليه الصحف والكتب فى غير نظام ولا ترتيب ، وكان ممسكاً بيده غطاء محبرة قد كان رفعه عنها بحركة غير إرادية منه ، وبصره مثبت فى نقطة أمامه يحدّق فيها

وكان من عادته أن يجد صاحبته بانتظاره مشتاقةً فى صبر ، ولكنه لم يجدها على عادتها فى الدار . . . لقد قالت له فتاة الجيران إن « ماريا سيرجيفانا » خرجت بغير أن تترك وراءها خبرا

وكانت هذه هى المرة الأولى التى لم تنتظره فيها منذ أن تعارفا حتى اليوم لقد كان أخبرها بالتلفون أنه ربما استطاع لقياها اليوم ساعة واحدة ، ولكنه استطاع أن يتحرر بغتة طوال هذا المساء ، إذ كانت زوجه قد خرجت لزيارة بعض الأصدقاء

ومضت الساعة الحادية عشرة وتلتها الثانية عشرة وهو ما يزال منتظراً ؛ وأخيراً أزفت الساعة الأولى ولمّا تأتِ ! وكان كلما طال انتظاره تشتد به الرغبة فى البقاء حتى تعود فيعرف أين كانت

وأخيراً وقبيل الساعة الثانية دُقّ جرس الباب ففُتح لها فطرق أذنيه وقع أقدامها ؛ وما هى إلا أن فتحت الباب ودخلت فلم يكن له متسع من وقت يصلح به هيأة وجهه للقياها

كان الثلج قد غطى كمّىْ معطفها وكتفيه ، وكان خداها قد تورّدا من لفح الرياح المحملة بالثلج ، وعيناها السوداوان مشرقتين بوميض من الغضب والهياج . كان أول ما ابتدرته به من الكلام قولها :

— أهلاً بك ، أنت هنا ؟

وكانت فى صوتها نغمةُ فرحٍ ودَهش بيّنة التكلف . ثم استأنفت قائلة :

— ولكنك قلت إنك لن تستطيع المجىء !

وكانت تقول ذلك وهى تلقى على الغرفة نظرة تفقّد فاحصة ، فأجابها :

— كلا ، لقد قلت إنى ربما جئت ولكنى لم أكن واثقاً تماماً من هذا . قال هذا وهو يعيد غطاء الدواة إليها ، ثم قام فمشى حتى جاء فوقف قبالة صاحبته

— إنك على حق ، غير أنك قلت إنك إن جئت فلن تظل أكثر من ساعة

— حَسِبْتُ أن لقاء ساعة عندك تفضل الخروج مساء ... إلى حيث لا أدرى ...

فأجابته بسرعة قائلة :

— « أوه ... إنما كنت ذهبت إلى الملهى » ، ونزعت قبعتها فَنَفَضتْ الثلج الذى كان يغطّيها على البساط . ثم إنها بدأت تزيل الثلج الذى كان قد تراكم على كُمّيْ معطفها فى أناة ظاهرة واعتناء . فهز صاحبها كتفيه وبدأ يعينها على خلع ملابس الخروج التى كانت ارتدتها محتفظاً بصمته ، ذلك

الصمت الذى كثيراً ما يشاهد فى مناظر الشجار والمنازعات ، ولم يخف ذلك منه على صاحبته ولكنها اعتصمت بالصمت العميق مثله ، غير أنها بعد أن ألقت عليه نظرة جانبية بدا لها أن تغير وضعها — فجأة — فقالت تكلمه فى صوت لطيف :

— أجائز أنك لا تصدقنى ؟ واقتربت من حبيبها بجوٍ تُشمّ فيه رائحة الهواء الطلق البليل الذى كانت فيه منذ برهة قصيرة ، فوضعت يديها — ولم يكن ليخفى عليها جمالها — على كتفيه ، غير أنه أحس ثانية أن هذا التبدل السريع من وضعها الأول إلى هذا الوضع الأخير اللطيف مما تُفسِرُ عليه نفسها ، إنه متكلّف أيضاً ! ثم قالت له :

— وفى استطاعتى أن أعدد لك كل حركاتى هذا المساء : كان أحد أصدقائى ومعه خطيبته ينويان الذهاب إلى الملهى ، وكانت عندها بطاقة دخول زائدة فاستدعيانى معهما إلى الذهاب ففعلت، وذلك كل شىء تمّ

— فمجيئك من الملهى إذاً فى هذه الساعة ؟

— نعم

ثم رفعت يديها عن كتفيه — وما كان قد مسهما — وذهبت إلى مرآة الصوان كأنها تريد أن تصلح وضع شعرها ، ولكن عينيها عادتا إلى ما كانتا عليه من النظر إلى الغرفة نظرة عجلى فعل العائد إلى داره يجد فيه ضيفاً غير منتظر ليطمئن على أنه ليس فى المكان بعض ما لا يجب أن تقع عليه عين ضيفه من أشياء :

وكان هو يلحظها أثناء ذلك من طرف خفى ويتتبعها فى كل ما تصنع ، أما هى فكانت تخفى شعورها بمراقبته هذه وتدقيقه وتتظاهر بهيأة من ناله تعب أو مسه جهد ، بينما كانت تمشط شعرها وتعيده إلى نظامه أمام المرآة

... لقد بدا له من الغريب أن تكون لشخص تصحبه إلى الملهى خطيبته بطاقة دخول زائدة ! !

... قالت : « وقد خاب ارتقابى مقدمك عند المساء تماماً . » ، ثم جلست على كرسى كبير بقرب المكتب قبالة صاحبها واسترسلت قائلة :

« . . . فوقعت بعض أخطاء أخرت الرواية عن موعد بدئها ، فضاق المتفرجون بذلك ذرعاً وعلت أصواتهم وسمع تصفيقهم ... ألمْ ترَ هذه الرواية من قبل ؟ »

ومع أن الرجل كان ما يزال واقفاً فى مكانه ، وعلى وجهه سيماء من يستمع إلى كذبة مدبرة حازمة صادرة من شخص كانت له بصحة ما يقول ثقة قوية — منذ قليل من الزمان فقط — مع هذا ، فإنها استمرت تتم حديثها وكأنها غير شاعرة بحالته الغريبة التى كان فيها

قالت : « وكانت الرواية غاية فى السخف ، مملة ، بينة التكلف والاصطناع ؛ وكان الممثلون يقومون بأدوارهم وما فى نفوسهم شوق إليها ، وكان أحسن ما هناك فتاة ممثلة جودت فى دور لها متوسط »

وهنالك أدار صاحبها عينيه نحوها وقال لها :

— إنه ليس ثمة سبب يدعوني إلى الشك فى أمر ذهابك إلى الملهى

فردت عليه قائلة : « عزيزى ، إن شئت أريتك

البطاقة » ، وفتحت حقيبته يدها وأخرجت له البطاقة بدون بحث ولا عناء ، بل كان فى حركتها أثر الاطمئنان . فأخذ الورقة المطوية منها بحركة آلية ثم أردف قائلاً :

— إنى لا أدرى ما هذا الذى حدث على الضبط ولكنى لحظت من زمن يسير أنّ علاقاتنا قد طرأت عليها شائبة من الخداع

— وماذا تعنى بالخداع ؟

وكانت جالسة على كرسيها . فرفعت مرفقيها علامة السؤال والاستغراب

فأجابها : « لا أدرى تماماً ولكن هنالك شيئاً مما أقول . على أنى أطلب منك شيئاً واحداً ، ذلك ألاّ تضطرى الواحد منا إلى الكذب على الآخر . لقد كان بيننا عاطفة ودّ قوية ، وفى أمثال هذه المواطف التى بيننا لا يستحسن الكذب أبداً . فلا تحدثينى الليلة بشىء ، ودعى ذلك إلى الغد . خابرينى بالتلفون وإذ ذاك تستطيعين التحدث بكل شىء . إن كلاً منا حرّ مطلق التصرف فى نفسه ، فإن لم يبق بيننا « حب » فلا حرج ولا بأس . . . لنفترق ! »

ثم وضع قبعته على رأسه مهتاجاً وارتدى (سترته) وخرج دون أن يودعها

... كان يسير إلى داره مستعيداً فى ذهنه حركاتها وصوتها فبدا له كل ذلك صورة من مكر وخداع بغيضة ! لقد كانت تحدثه عن الملهى حديث المضيف إلى زائر طرقه ، وذلك فعل المرأة حين تريد كذباً ، وكانت تتحدث عن الملهى حديثاً عاماً مبهماً بالطريقة التى يتكلم بها المرء عن حوادث قدم عليها العهد ، وكان عليها — إلى هذا — أن تبتدع كذبة تأخير الرواية ساعة عن ميعادها المعين لتبرر تأخرها عن موعد انتهاء أوقات الملاهى عادة !

أما البطاقة ... فمن يدرى ؟ لعلها ابتاعتها ... وهى تستطيع ذلك . بل ربما دخلت الملهى حقاً وشاهدت الفصل الأول . ثم ... ؟

غير أن فكرة — آخر الأمر — اعترضته فوقف تحت مصباح الشارع وأخرج من جيبه البطاقة التى كان قد وضعها فى جيبه بغير شعور منه

فلما أن فتح البطاقة الصغيرة الخضراء ليتبين التاريخ عليها وجد أنها قديمة ، مؤرخة بتاريخ أول الشهر ، وهم اليوم فى الثامن عشر منه ! فيا لها من كذبة دنيئة !

كان أول ما دار بخلده أن يمزق قطعة الورق البغيضة تلك . غير أنه أعادها إلى جيبه ثانية لسبب خاص ...

... إنها حقاً كذبة إنسان صفيق الوجه ! فيا لها من زلة ! إنها كفيلة بأن تخجل الإنسان من نفسه ...

ولما وصل إلى بيته لم يجد فى شبابيك طابقه أنواراً ، كأن زوجه لما تعد ، وكان ذلك له خيراً فى استطاعته أن يزعم — الآن — لها أنه كان فى الدار طوال المساء فقضاها أمسية وحيدة على مضض منه ... غير أن ضوءاً بدا فى غرفة النوم — بغتة — لقد سبقته زوجه الآن إلى الدار ! منذ خمس دقائق فقط !

فصعد إلى الطابق السادس بسكون مفكراً فيما عسى أن ينتحل من الأعذار ؛ ثم تسلل إلى الردهة فى ارتقاب وحذر فى حين أن زوجه كانت خارجة من غرفة النوم مسرعة وهى تشد وسطها بحزام فستانها البيتى ؛ فلما وقع نظرها عليه ابتدرته سائلة فى استغراب :

— ماذا حصل أيها العزيز فأخرك ؟ لقد ظللت فى الدار طول المساء هذا ؛ ذهبت إلى بعض الجيران ، وكان عندهم أقاربهم فلبثت عندهم ساعة ثم عدت وفى أملى أن أقضى هذا المساء معك . . .

فأجابها :

— غير أنى كنت أحسب أنك ستكونين خارج البيت الليلة ، وذلك الذى دعانى إلى الذهاب إلى الملهى ! ! فإن ذلك ولا شك خير من بقائي فى الدار وحدى !

— ولكن لماذا أراك متأخراً للآن ؟

— أوه ... إنك تعرفين كيف يسير هؤلاء فى أعمالهم . . . لقد وقعت بعض أخطاء أخرت الرواية عن موعد بدئها ساعة ، فضاق المتفرجون بذلك ذرعاً وعلت أصواتهم وسمع تصفيقهم !

ثم أخرج تلك الورقة المطوية وألقاها على الطاولة بحركة تدل على تعبه ؛ ثم استطرد قائلاً :

« وكانت الرواية غاية فى السخف ، مملة ، بينة التكلف والاصطناع فى كل شىء من مظاهرها . وخير ما كان فى الرواية كلها فتاة ممثلة أجادت فى دور لها متوسط ... ولو دريتُ أنك ستكونين فى الدار الليلة ، إذاً لتركت الرواية بعد فصلها الأول !..

(بغداد) فخرى شهاب السعيدى

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الطائب

أبى العلاء المعرى

طرفة من روائع الأدب العربي فى طريقته ، وفى أسلوبه ، وفى معانيه . وهو الذى قال فيه ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة فى القاهرة .

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتى

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »

ويباع فى جميع المكاتب الشهيرة

صدرت الطبعة الجديدة من :

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثمن ١٢ قرشاً

من ذكريات الصبا

هم جديد ...

أقصوصة عراقية

بقلم الأستاذ فيصل عبد الله

... كان من أثر مرضي الذي لازمني أشهراً أن رسبت في الامتحان ، وكان أبي رءوفاً بي فعرض عليّ أن أنتجع الصحة وأستعيد ما فقدت بسفري إلى بلد أخيه ، فرضيت بعد إلحاح وتردد .

وكان ما وجدته في البلد ، من مظاهر الطبيعة الفاتنة ومروجها النضرة ، وما يحيط بي في البيت من ترحيب وعناية قد أنسياني بعض النسيان ما ألمّ بي وبرّح ! ...

ولم يك من شيء يلفت نظري ويسترعي اهتمامي في ذلك البيت غير رحابته ، وكثرة ما فيه من ورود نضرة وأزهار زاهرة جمعتها حديقة فسيحة في ركن من ساحة البيت ، توسطتها نافورة زاهية تقذف الماء إلى علٍ فيخرّ من الجوانب رذاذاً ناعماً كنسمات دجلة ربيعاً ... تلك النسمات التي تساير دجلة في انسيابه كأنها تبادله عذب الحديث وساحر الأنغام ... وهو ينساب ...

ووجدت أنّ خير ما أقطع الوقت به أن أرعى الحديقة باهتمامي ، غارساً البذور وقاطفاً الثمار الناضجة ومبيداً ما يسرح فيها من الحشرات والديدان ، وما ينبت من طفيلي النبات ... وقد أثمرت عنايتي بعد أيام قلائل ، فغدت أزهى وأنضر مما كانت عليه كانت هذه الحديقة وما تحفل به الشيء الوحيد الذي شغلني فاستطاع أن يلهيني عما كان التذكر به يؤلمني ويعضني إلا أنني وجدت فيّ اهتماماً نحو شيء آخر أثاره السهوم والحزن العميق اللذان يتشح بهما ...

وما كان هذا الشاغل الجديد إلا ابنة عمي التي تقاربني سناً وتشابهني ملامح

كنت أراها تختلس النظر إليّ وتقف عن بعد وأنا لاهٍ بصويحباتي الزهر تلاحظ ما أفعل حتى إذا ما رفعت بصري إليها ، أشاحت بوجهها سراعاً كأنها لم تكن تراقبني . وكانت كزهرة مما أغرس ، لا تفترق في شيء عما أرعى من الزهر ، فقد كانت بارعة الجمال فاتنته ، ساحرة اللحظ ، في عينيها حول يكاد لا يبين ...

كانت تدنو مني وأنا بين الزهر أسقيه وأرعاه فتقول لي في لهجة وادعة تقع في نفسي وقعاً لم آلفه من قبل :

— لِمَ تتعب نفسك بهذا ؟ ... أليس من شيء هنا يستحق وقتك واهتمامك غيره ؟ ..

وكنت ألمس في قولها هذا غيرة وحناناً ، إلا أنني لم أكن لأدري ما محلهما بين حبي للزهر وعنايتي به ... كما كنت لا أدري سبب سهومها وإطراقها الدائمين .. وتلك السحة الحزينة الساحرة الغالبة على محياها الوديع

وأخذ اهتمامي بالحديقة وما تحفل يتضاءل ... وعدت للتفكير والتفسير .. أفكر في هذه السحابة التي تكاد تعلو حياتي الهادئة في ذلك البيت الساكن الهادئ ...

كان جمالها يثير فى نفسى إحساساً غريباً لم أكن لأفقهه ، إلا أننى كنت ألمس فيه الارتياح البليغ إليها والميل إلى مجالستها لتعرّف ما كان يبدو لى غامضاً منها ...

كانت جميلة ، ولست أعنى بالجمال هنا قواماً فارعاً وعينين ساحرتين خضراوين ، وجفوناً ناعسة كثيفة الأهداب ، وشفتين قرمزيتين دقيقتين ، وشعراً ذهبياً مموّجاً . كلا ، فهى قد ملكت هذا النوع الظاهرى ... إنما أعنى الجمال الباطنى الروحى الخلاب ، الذى ينطق به سهومها ونظراتها الحيرى الحزينة ولهجتها الوادعة الوقور ، وابتساماتها التى تفيض علىّ سحراً يخالطه شعور يملأ نفسي ، شعور غامض لم آلفه فىّ من قبل . . .

وكنت أجد شفتى تنفرجان عن ابتسامة أحييها بها فتجيبنى بيسمة ساحرة سرعان ما تغيب ، وألفت أن أراها تبسم لى كلما التقى طرفانا ... كانت ابتسامة يرتسم بها محيّانا بسهولة تفوق مقدرة أفواهنا على تبادل الحديث

وحاولت عبثاً أن أحيط بما تكنه علماً ، وأن أخرق ستر الغموض الذى يحجب نفسيتها الدفينة عنى ، حاولت ذلك سدى ، وإنما كنت أخرج من كل محاولة وقد ازدادت غموضاً فى عينى ، كما ازددت ميلاً إليها أو بالأحرى رغبة فى تعرف ماتكنه وتخفيه

وكانت السويعات اللواتى تهب لى السعادة قليلة فأخلو بها فيهن معجباً مأخوذاً ، وكنت أرجىء محاولة تعرّفها إلى تلك السويعات الخوالد فى النفس . . لكن ذلك السحر الذى ينبعث من جمالها : جمال الخلق وجمال الروح ـ لا يدع لى تذكر ما انتويت ... ولا يفسح إلى ما اعتزمت سبيلاً

لقد زاد غموضها حبى لها . . . أجل حبى . . . ولقد اضطربت وارتجفت وأحسست أن شعوراً غريباً أفيض به عندما ألفيت فىّ اهتماماً بهـا ، وأدركت أن ذلك الشعور الغامض الذى أكنه لها ... لم يكن إلا الحب ! ! ...

كانت روحها الحزينة ونفسيتها الدفينة الغامضة قد ولّدتا فى ذلك الحب كما زادتاه ، وأسبغتا عليه قدسية كنت ألمسها فى صاحبته ... وشعرت لأول مرة أن ما أعتزّ به من كبرياء وعزة ونفس قد نكصتا خائبتين أمام سحرها وغموضها ...

أنا ... أنا الذى كان يلذ لى ألا أحفل بأى فتاة وألا أبدى أى التفاتة لأية كانت مهما بلغت من الجمال ومهما كان شعورها نحوى ، رأيتنى أحفل بها ، وأهتم بكل ما تبديه ، بل لقد تناول ذلك الاهتمام كل ما يخصها من شؤون حياتها حتى ما ترتدى وتطعم

وأحسست فىّ عجزاً كلّيًا عما انتويت اقتحامه فسحر عينيها يخسئ عينىّ ويردّهما خاشعتين منكسرتين ، وسحر نفسها يملأ نفسى شعوراً بل مشاعر كلها من الحب وإليه ...

وأخيراً ... وجدت أن خير ما أفعل لتعرفها ، لكشف الغموض المتشحة به . . . أن أكاشفها بحبى . . ولكن أنى لى أن أفعل هذا وفىّ ما عرفه الناس عنى من خجل وارتباك يملكانني ساعة أن أحادث أية فتاة ؟

وكان فى التلميح ما يشفى، ولم تك بغبية لا تفهم

ما أعنى . . . فقديماً قالوا : « إن الجمال والذكاء صنوان لا يفترقان » وإن ما تملكه من الذكاء لكفيل بإشعارها ما أعنيه

فقلت لها يوماً وقد قاربتنى مجلساً وكادت أنفاسها الحرّى تبلغ رئتيّ :

— ما أعبق ما فيكِ من عطر ... لقد أفاض علىّ نشوة لم آلفها من قبل ؟

فقالت بعجب : ولكننى لم أضع أى عطر . . .

— أجل لستُ جاهلاً هذا ...

— إذن مِمّ جاءنى ؟ !

فقلت وقد أصمّنى وجيب قلبى عما عداه :

— أنفاسك الحرّى العبقة

وازدادت سحراً وفتنة بحمرة الخجل التى كست خديها وبسدول جفنيها الناعسين على عينيها الساحرتين فى حياء خلاب

« إن حباً يباغت به فتى لم يألف غير الهناء والهدوء فى حياته القصيرة الفياضة بهناء الطفولة السعيدة ومرح الصبا الهنيء لما يكشف لمن باغت عن دنيا حفيلة بالسعادة لا تدوم ، فإن هى أدبرت وولت فإن ما تبقى له من سعادة الطفولة وهنائها لا طعم له ... فليست سعادة الحب وأيامه العِذاب بما يخسره الفتى بعد أن يخسر هواه فحسب ، إنما يخسر فوق ذلك تراثاً نفيساً من عهود الطفولة ، كان مقدراً له أن يخلد فيه لولا أن يجرفه سيل الحب المدبر أو تقلعه رياح الهجر والخيبة »

وهذا ما كان ... فقد نسيت ما بليت به من قبل وما دفعنى إلى هذا البلد مريضاً متعباً كئيب النفس ، محطم العصب ونسيت من خلفت فى بلدى من أهل وأتراب ... بل نسيت حتى زهرى الحبيب الذى أقبلت عليه مشغوفاً مهتماً ولما تمض علىّ فى ذلك البلد سوى ساعات ، نسيت كل شيء إلا هذه السحابة التى علت سماء قلبى الذى جئت هذا البلد آملاً أن تصفو فيه سماؤه من غيوم المرض وعواصف الرسوب ...

وقد كان ... إنما حجبت تلك السماء غيوم أخر ولما تنصع سماؤه بعد ، وكانت من نوع آخر ، كانت ترذّنى برذاذ ناعم ينذر بوابل كثيف من المطر والبرد ... وبعواصف ورياح لم يكن لقلبى بها عهد

ورحت أسائل نفسى محاولا أن أخلق من الداء دواء لما أصبت به ... أو تشعر بتلك العاطفة التى ولدت فىّ حديثاً ونمت حثيثاً ، ولكى أستطيع إيجاد الجواب أخذت أحلل كل ما كانت تبديه نحوى وأفسر ما تعنيه من حديث وبسمات ، ولكم ذهبت فى تأويل بعضها مذهباً آلمنى إذ أعزو ما كانت تبديه نحوى من رقة وبسمات ومجاملات ، إلى أنها أمور عادية ليست من الحب فى شيء ، أمور توجبها علىها غربتى عن بلدى وإضافتهم لى ... كما توجبها عليها صلة الأسرة الوثيقة التى تربط كلينا

وعدا هذا ... فقد يكون ما تبديه محاولة إزالة ما فىّ من هموم وأشجان أتيت بها من بلدى ... وما كان أشد الألم الذى يجتاحنى ساعة أن أرى فيما كانت تبديه هذا الرأى !

ومرّت أيام ... ولمس الكل فىّ تغيّراً بيناً فقد لازمنى الذهول والتفكير وأخذت أميل للوحدة والانفراد عازفاً عن كل ما يقدم لى ويهيئ من

رحلات وولائم ... راغباً عما وددت من الزهر والرفاق ...

حتى كان يوم لن أنساه ، كنا فيه منفردين نتناول ما عدت به من النهر فى ضحى ذلك اليوم من سمك صغير طرى .. وكانت كما ألفت مطرقة فى مهموم تحدق فى لا شىء ، حتى إذا ما تلاقى طرفانا غضت طرفها باسمة فى حياء بسمة ما أسرع ما تغيب عن فيها العذب . . . وكنت أفتر فى أكلى فأضع الجيد منه أمامها ... ولحظت هذا فقالت :

— لِمَ لا تأكل أنت ؟ أبق منه لك فكفاني ما طعمت ...

فقلت وقد أدركت أن هذا خير وقت أهتبله لأبوح لها بما أكن

— لا يضيرك أمرى

— ولِمَ ؟

— كلى أنتِ فإن شبعتِ فإن هذا كاف لى

فقالت بخفوت :

— أيهمك أمرى ؟ ...

— ولم لا ...

فأطرقت وقالت بنبرات صارمة أذهلتنى :

— ألا أستطيع أن أفهم ؟ !

— بإمكانك هذا ... إننى أحبك ... وقلتها كمن يريد أن يُفهم

وكان هذا القول إذ مسّها كرياح الشتاء ، فارتجفت بشكل جلىّ وتغيرت سحنتها ، فتساءلت وأنا أحاول أن أملك نفسى ...

— أيسوءك هذا ؟ ...

فقالت بعد صمت بنبرات لا تخلو من رعشة وتهدج :

— لقد فات أوان هذا ... لستُ أهلاً لحبك الآن ...

ونهضت باضطراب وسارت مسرعة حتى اختفت

ومضت أمسية ذلك اليوم وأنا أسائل نفسى عن معنى ما قالت ... محاولاً أن أفهم ما تعنيه فلم أستطع . وقضيت ليلةً لا كما قضاها الناس إذ بتها ساهداً ، وقد أفزعنى أن أجدنى محموماً متراخى الأعصاب ، وكانت تتراءى لعينى أشباح راعبة صوّرتها لى الحمى . وأغفيت وقد لاحت فى الأفق تلاميع الصباح . . . ولم أفق إلا على صوت الخادم العجوز وهى تقول :

— لقد تأخرت اليوم فى اليقظة يا سيدى

— أجل ، فقد سهدت أمس

— أكنت مريضاً ؟

— لا ، بل متعباً

— هذا حق . . . فقد أجهدتَ نفسك أمس فى صيد السمك ... وعلى فكرة ... أأعجبك طبخى لسمك الأمس

— جداً

— إن (لبيبة) قد عابته علىّ ... ولكن مهلاً لو كان خطيبها هو صائده لما عابته

وقلت وقد بانت الدهشة جليّة فى سؤالى :

— خطيبها ! ألها خطيب ؟

وقالت تنكر علىّ جهلى :

— أجل يا سيدى ، ألا تعرف ؟ ... وتمادت

فى الثرثرة . أما أنا فقد كنت لاهياً عنها بصدمة عنيفة فوجئت بهـا وفجمت . . . وأخيراً عرفت ما كان مجهولاً . . . أو كدت

* * *

بعد أيام ثلاثة قضيتها فى حال لا تسرّ ، كنت أتعمد فيها الخروج كثيراً للخلاء حذراً من رؤيتها كان البيت متهيئاً لوداعى وقد عجبوا لتعجّلى بالذهاب ولانقلابى الأخير . . . ولكننى احتججت بشوق لأهلى وشوقهم لى . . . وكانوا مشتغلين بحوائجى يهيئون لى ما أعدوه من هدايا وثمار . . .

أما أنا فقد كنت أفكر فى شىء أدرت طرفى باحثاً عنه فلم أجده . . .

وسرت مطرقاً وفى نفسى مشاعر يغلب عليها الأسى ، وفى ذهنى صور وطيوف تتلاحم فيه . . . ورفعت بصرى بغتة ليقع عليها وهى تحدق فىّ بألم وأسى . . . وراعنى فيها احمرار عينيها وأمارات الحزن العميق والسهد المضنى المرتسمة بوضوح فى محياها . .

وكانت شفتاها تختلجان كمن تريد الكلام ولا تقوى عليه ... وأدارت وجهها لتخفى دمعتين ذرفتهما عيناها

وخرجت مسرعاً وقد خيل إلى أن نحيبها يصل إلى أذنىّ ويدوّى فيهما

وعدت إلى بلدى ... وفى قلبى هم جديد ...

فيصل عبد الله

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية

٥٠ السنة الأولى فى مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة فى مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشاً فى الخارج عن كل مجلد

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترفات فتى العصر لموسيه، والأوذيسة لهوميروس، ومذكرات نائب فى الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعة ومنقولة .

الثمن ٣٤ قرشاً مجلدة فى جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

اعتراف سجين

للكاتب الفرنسي فرنسوا كوبيه

بقلم الأستاذ ناجي الطنطاوي

لم يبق بيني وبين الحرية إلا أن تشرق عليّ شمس الغد فتكون خاتمة هذه الأشهر الستة التي حكم عليّ بأن أقضيها حبيساً في هذا السجن جزاء اختلاسي ألفي فرنك من صندوق رئيسي . فقضيتها فيه أذوق العذاب الأليم ، تكفيراً عن ذنبي الذي أذنبت ...

ولن تحين الساعة الثامنة من يوم غد حتى يدخل عليّ الحارس الموكل بي حاملاً إليّ ثيابي التي أخذت مني يوم أدخلت السجن ، وأبدلت بها هذا الثوب الكالح البغيض ... لقد كانت جديدة نظيفة وسأعود إذا لبستها إلى ذلك المظهر الأنيق فلا يفرق الناظر بيني وبين غيري من شباب البلد .. وسأسرع إلى كاتب السجن فأسأله محو اسمي من سجله ، ثم أعدو إلى مرجريت فأراها في عربتها تنتظرني على باب السجن كما وعدتني ... فيا فرحتاه .. سأسترجع حريتي كاملة غير منقوصة !

أجل . سأكون حراً ، وسأعود سعيداً . لأن مرجريت التي من أجلها أجرمت جريمتي وسرقت ، لا تزال تحبني ، وقد كتبت إليّ بالأمس تحلف على ذلك . وإذن فسنرجع كما كنا زوجين وفيين سعيدين ولن نذكر أيام المحنة ولا نعود إليها . لأن المرء يستطيع أن يدفن ماضيه في أرجاء باريس الواسعة التي يضيع فيها كل شيء ولا سيما إذا كان مثلي شاباً متوثباً طموحاً عالي الهمة موفور النشاط ، وكان حسن الهيئة ، ذا ميل إلى التجارة ولقد عزم رئيسي قبل محنتي أن يجعل مني شريكاً له . وكانت تحدثني نفسي بأن شاباً مثلي له تلك المواهب يستطيع أن ينال منزلة في الناس . فأستشعر الشجاعة ، وأحس بالرغبة في مجالدة الحياة ، واستسهال الصعب ، وحمل المكاره والمشاق بصبر وثبات . كصبر (حصان العجلة ..) لأحصل قوتي وقوت مرجريت ... ولكن مالي ولهذا ؟ ولماذا أفكر فيه ؟ لأدع الأمور تجري في أعنتها فلكل شيء أوان ، وخير لي ألاّ أفكر في غد . فإن غداً لي وأنا مطمئن إلى هنائه وطيبه ، وما أجمل الساعة التي أغادر فيها السجن ، فأقف على الباب أتلفت فيقع بصري على وجه مرجريت الجميل ، متوارياً في ظل العربة يتراءى من خلال النقاب شاحباً من فرط التهيج والاضطراب . فأدفع للسائق مائة قرش وألقي إليه بعنواني ، وآمره أن يُنفذ السير إنفاذاً ، وأقفز إلى العربة فآخذ مكاني فيها ، وتهوي الفتاة المسكينة بجسمها النضّ على صدري باكية منتحبة ، وما أعذبها قبلة أطبعها على جبينها المشرق !

سنعود إلى عشّنا في غرفتنا العليا بشارع « مدام » تلك الغرفة التي تُرى منها حديقة

« اللكسمبورغ » بكاملها . ألا ما أجمل أيامنا هذه أيام سبتمبر الأضحيانة ، ذات السماء الصافية والشمس المشرقة . لقد ارتدت الأشجار دون ريب حُللها الخضر الزاهية ، وتفتحت أزاهيرها الفاتنة . يا لجمال الطبيعة ! سنجلس بالقرب من النافذة ، وسنرسم هذا المنظر الساحر ، وستغمر الشمس غرفتنا بأشعتها الذهبية العذبة مداعبةً الستائر البيضاء ، نافذةً فى الأوانى البلورية تاركة فيها لألاء وبريقاً . ما أهنأه طعاماً نتناوله فرحين مسرورين ، تأبى أبصارنا أن تكفّ عن تبادل النظرات فى سكون وصمت ، وفى حنو ودلال . ستأخذ مرجريت مكانها إلى جانبى بعد تناول القهوة على عادتها فيما مضى واضعة ذراعيها البضتين على منكبى ، ملقيةً بذقنها الجميلة فوقهما وهى تنعم النظر فى وجهى

سوف أنتشى من عبيرها المعطر ، وشعورها الشقراء ، تدغدغ شفتىّ ، ثم أغلق مصراعى النافذة مسرعاً وأسدل الستائر وأوقد الشموع ، وأنزع ثيابى وأنتظرها مرتعداً مرتجفاً مرتفقاً مخدتى . ولا تسل عن فؤادى الخافق والغبطة التى تملك علىّ مشاعرى حين أبصر عنقها العاجىّ ومنكبيها اللذين يبرزان من خلال قميصها الحريرىّ وابتسامتها الساحرة المغرية

يا لله ! سأحظى غداً بكل ذلك ، بعد هاته الأشهر الستة التى قضيتها فى العزلة المضنية والوحدة القاتلة . سأحظى غداً بكل ذلك . يا لله ما أعذب الحرية وما أحلى السعادة ، وما أهنأ الحب ! . . .

ولكن . . . إن كل ذلك لن يكون . . . سأنتحر الآن بعد أن أنطق هذه الوريقات بما يوضح حاجتى الملحّة إلى الموت . أوه ! هذا الحارس الذى باعنى ـ خلافاً للقانون ـ شمعةً أسطّر على نورها هاته الكلمات ، سيدخل علىّ غداً ليخرجنى إلى النور والحياة ، فيذهل عند ما يرانى معلّقاً بإحدى حلْقات النافذة بارداً متشنجاً ، كالح الوجه مندلع اللسان ، وسيفرّ فزعاً . . . لكل شىء حينه ، فلأنتظر حتى منتصف الليل

لأفكرْ ولأمعنْ فى التفكير ، ولأحاولْ أن أتبيّنَ المشاعر التى تهيجنى :

لِزامٌ علىّ أن أعترف بادئ بدء أننى لا أحس أىّ ندم على عمل السوء الذى قمت به . لقد أقدمتُ على خيانة دنيئة سافلة ، إذ سرقت رجلاً أحسن معاملتى ، ووثق بى وكافأنى بنبل وشهامة واهتمّ بمستقبلى ، وبلغ من احترامه لى أنه عزم على أن يجعل منى شريكاً له فى أعماله ، ولكنى ويا للأسف لم أكن أهلاً لتلك الثقة ، ولم أثبت بعد ذلك ندمى ، أفبرهن عليه الآن ؟ أما أنى لو أحسست مرة أخرى بيد مرجريت ترتجف فى يدى حيال دكان (الجوهرى) ولو رأيتُ مقلتيها الفياضتين بالآمال وهى ترنو إلى سوار دقيق براق مزيّن بالماس والذهب ، لطوّعت لى نفسى سرقة مئة قرش لأبتاع لها السوار . أسافل أنا أم معتوه ؟ لا أدرى ولكنى أحدهما من غير شك . آه من هذه المرأة . . . تُرى كيف قدّر لى أن أقع فى شرك غرامها سريعاً ومن النظرة الأولى ؟

لا أزال أذكر ذلك كأنه حدث الآن . طلب إلىّ اثنان من أصدقائى أن أرافقهما إلى المرقص العام الذى يجاور « مونمارتر » فرفضتُ طلبهما ، إذ أنى كنت لقساً وكنت عازماً على النوم مبكراً ، ولكننى اضطررت أمام إصرارهما أن أعدل عن رفضى وتبعتهما

عزفت الأركسترا رقصة البولكا ، وكانت الأنغام شعبية يصدرها ناى مطرب ، وكانت تقفز فى ذلك الفضاء الرحب بضعة أزواج من رجال ونساء ، وكان الجمع الحاشد يدور بلا انقطاع بفتور وكسل تحت أوراق الأشجار المضاءة . ولم يكد يستقر بنا المقام حتى رأينا امرأتين تدنوان منا وتخفان لاستقبالنا . أما الكبرى فسمراء محفّقة[1] الوجه — يبدو أنها خادمة فى أحد المطاعم الليلية — يعرفها أحد صاحبىّ وتعرفه ، راحت تطلب منا بكثير من القحة أن نقدّم لها ثمن شراب تتناوله . وأما الصغرى فشقراء ، وقد كان موضعى بجانبها حول النضد ، وكانت معتزّة بطلعتها البهية ووجهها المشرق الجميل وقوامها الرشيق . وكان يبدو عليها قليل من الخجل . ولاحظت بسهولة أنها لم تتعلم الرقص إلا منذ زمن قريب . لم يكن عليها شىء من الجواهر وكل لباسها ثوب بسيط متواضع أسود اللون ، ثوب فتاة مهذبة . أما قبعتها فقد كانت مصنوعة من اللباد تملوها ريشة وردية ، وكانت هيئة الفتاة تغرى أول متطلع إليها أن يقول لها برغبة وشوق : « أتتفضل الآنسة بقبول تناول العشاء معى ؟ » ولقد كانت قبعتها هذه كلوحة تسير أو علم يرفرف

جلسنا نتجاذب أطراف الحديث . كان صوت الفتاة عذباً كعينيها ، ولم تكن تعرف معنى للصلف والقحة ، ولقد حياها أحد صاحبىّ تحية فظة فلم يك جوابها إلا ابتسامة حائرة يتجاذبها اللطف والنفور ..

لقد كان مرآها يستدعى الشفقة والرحمة حقاً ، وقد أيقظ جمالها خيالى فشبهتها — رغم أنى لم أكن شاعراً — بانعكاس نور كوكب درىّ فى غدير نقىّ صاف ، وكان فى القبلة الأولى التى سمحت لى بها عند صعودنا إلى العربة وانصرافنا من المرقص كثير من العطف والرحمة والحنان

لله ما أطربها وأبهجها ليلة قضيتها إلى جانبها ! لا أزال أحس حتى هذه اللحظة بحرارة دموعها المنهمرة على منكبى التى كانت تذرفها وهى تقص علىّ تاريخ طفولتها متشردة على أرصفة باريس ، وتاريخ شبابها البائس وسقوطها المؤلم فى حمأة الرذيلة . لقد دفعتنى حالتها المحزنة تلك إلى أن أسارع لإنقاذها ، وغدت بعد تلك الليلة تعيش معى بشرف واستقامة

لقد كان عملى ذاك حقاً بل جنوناً ، إذ لم يكن لدىّ من المال إلا مرتبى الذى أتناوله من صندوق « سان جرمان الصغير » فلو كانت مرجريت تعرف معنى التوفير والاقتصاد شأن كل الخادمات لاستطعنا أن نعيش عيشة راضية ، ولكنها لم تكن كذلك واأسفاه . كانت بطبعها واهنة الشعور ، نشيطة الجسم ، ولم يكن سقوطها الأخلاقى ناجماً عن ميل طبيعى فيها ، بل كان الدافع إليه ضعفها روحاً وجسداً . وما بالك بفتاة طائشة كسول متخاذلة لا تنهض من سريرها قبل الظهر ، تقضى أكثر أوقاتها فى مطالعة الروايات والقصص ، تصبر على تناول (السلطة) أياماً ثمانية علّها تقتصد من ذلك بعض المال الذى تستطيع أن تشترى به لنفسها زوجاً من الجوارب الحريرية

غمرت دارى فوضى شاملة : عند ما كنت أعود مساء من عملى ، كنت أرى مرجريت منهمكة فى تزينها الصباحى تجمل وجهها دون أن تفكر فى طعام أو شراب ، فأضطر إلى أن أكلف الخادم بشراء

(١) كناية عما يدعى بالفرنسية Maquillée

شيء من اللحم . وما حاولت مرة أن أوقظ صاحبتي وأعنفها على إهمالها ، إلا وكانت تجيبني غير غاضبة بقولها : أنا أعلم يقيناً أنني لست تلك المرأة التي تليق بك، ولكن ماذا تود أن أعمل؟ اهجرني إن شئت ولن يكون لي حق الشكوى

لم أكن أدري بم أجيب ، ولقد كدت أعتقد أنها لا تهتم بي ، وأنني لم أستطع أن أحملها على حبي

أأهجرها ؟ كنت أفكر في ذلك بادئ الأمر ، ولكني عند تصور عواقب هجرانها كنت أرتعد من الهول : ستعود عقب هجري إياها ، وفي مساء اليوم نفسه ، إلى المرقص الرهيب الذي انتشلتها منه ، وسيمر بها أحد العابرين فتروق في عينه فيقودها إلى داره بعد أن يدس في يدها قطعة أو قطعتين من ذوات العشرين فرنكا ... أواه ! إن رأسي لم يكن باستطاعته أن ينوء بتصورات كهذه ... أأهجرها ؟ كانت تحدثني نفسي قائلة : إنك ستستيقظ صباحاً فلا تحس دفء جسمها بقربك ، فلا أكاد أسمع هذا منها حتى يغمى علي من الخوف والحزن .

ولقد أصبحت حاجتي إلى تلك المرأة — بعد أسابيع قليلة — قوية شديدة ، وكثر ميلي إليها فلم أعد أستطيع الانفكاك عنها بحال . كنت أحبها ... وأحبها ... لا بل إني كنت مجنوناً بحبها

ألم تكن تبيت قبل أن أضمها إلى في غرفة قذرة في فندق صغير ؟ ألم يكن كل ما تملكه ثوبها البسيط الذي كانت ترتديه وتلك القبعة ذات الريشة الوردية التي انفردت بها في المراقص العامة ؟ أما والله لقد بذلت جهد طاقتي لأقدم إليها ثياباً تضفي عليها الحشمة والوقار ولأجهزها بكل ما تحتاجه وتطلبه ، ويعلم الله أنني أنفقت في هذه السبيل كل ما أملك من مال وعقار بل إني استدنت فوق ذلك أيضاً ... كانت لا تعرف النظام ، ولا تدري ما هي العناية . لقد بذلت كل ما بوسعي لأرضيها وأسعدها ، أتراها رضيت ؟ كنت أخشى دائماً أن تملني وأن يحملها الضجر على هجري

لقد اضطررت إلى استدانة أموال وافرة من جلة أصحابي وأصدقائي لكي أرسلها إلى عملائي الذين راحوا يشكون من تأخري وإهمالي حقوقهم ... وانتابتني لذلك أشجان بالغة لم أفض بشيء منها إلى مرجريت

ترى أأفادني ذلك كله ؟ لقد قالت لي مرة بصوتها العذب الهادئ — وأنا أعرف تماماً ماذا تعني — : « ماذا تود أن أعمل ؟ خير لنا أن نفترق لغير لقاء » فعقدت النية في نفسي آنئذ ألا أبالي بأية نكبة تحل بي وأن أتظاهر بأني لا أبالي أقوالها ، وأن أسعى لاستبقائها بكل وسيلة ممكنة ، وقد بدا لي المستقبل مربداً مخيفاً

رأيت الرجال البائسين يشغلون أنفسهم ببعض الملاهي ، وبدا لي هذا واضحاً في موظفي « سان جرمان الصغير » الذين كانوا يفيضون في الحديث أمامي عن مكاسبهم وخساراتهم في سباق الخيل الذي كانوا يشتركون فيه بحماس . وفي يوم من تلك الأيام التي كانت سوق المراهنات فيها رائجة ورابحة ، أعلن رئيس معامل الحرير بلهجة الواثق أن لديه معلومات هامة مستقاة من (جوكي) كان معروفاً بين زملائه سماسرة السباق وسواس الجياد بلقب « البوق الجيد » كان يدعى هذا البوق أن « جران دوسيل » — وهو جواد غير مشهور — سينال جائزة السبق الأولى وأن الذين يراهنون عليه سيربحون عشرة أمثال المال

الذى يدفعونه . ولقد رأيت أحد تجار الثياب الصوفية باع أشواط الجواد « ست دوبيك » مع أنه كان الجواد السابق فى المضمار ، ورأيت آخر لا يريد أن يرجع عن رأيه فى الجواد « جران دوسيل » وراح يدبر بإشارات مساومة دنيئة فى الاصطبل الذى اجتمعت فيه الخيول الشهيرة المروضة وكان يريد أن يجعل النصر حليف هذا الجواد

فتملكتنى مشاعر رهيبة أمام هذه المشاهد المغرية واضطرب جسمى وحدثت نفسى قائلاً :

— لو عادت لى الآن قطعة الخمسمائة فرنك التى كانت فى خزانتى يوم عرفت مرجريت ، لخاطرت بها فى هذا السباق بلا تردد ولا إحجام . عشرة أمثال هذا المبلغ ! خمسة آلاف فرنك ! يا للسعادة ! سأفى كل ديونى وسأقضى حياة رغدة هنيئة . ستكون لى مرجريت بلا منازع أشهراً طويلة ...

ولكن ... لم أكن أملك ساعتئذ إلا قطعتين من ذوات العشرين فرنكاً ، واضطررت إلى طرد هذا الحلم الذى لن يتحقق إلا فى عالم الخيال وهززت كتفى ساخراً

كنت قد وعدت مرجريت ، رغم فقرى ، أن أذهب بها فى ذلك المساء إلى « فولى بيرجير » حيث يرى كثير من الأقزام الغرباء الذين يبعثون فى النفس الخوف والرهبة ، وذهبنا سائرين على أقدامنا ، يدى فى يدها ، كى نقتصد أجرة عربة ومررنا تحت شرفات « باليه رويال » وكانت مرجريت تقف مراراً ـ شأن كل امرأة ـ حيال واجهات الصاغة وتشير بيدها إلى سوار دقيق مزين بألماس قائلة :

— خبرنى ، أى ثمن تقدر لهذا السوار الصغير ؟

فكنت أجيبها قائلاً .

— ماذا ؟ ماذا ؟ إن ثمنه لا يقل عن ألف فرنك

فلا تكاد تسمع هذا الجواب حتى تبتعد عن الواجهة ببطء ، وفى عينيها نظرة أسف عميقة وتقول :

— هيا بنا ... ما أجمل هذه الألاعيب ، إنها من نصيب سوانا

وفى تلك اللحظة كانت تعاود ذهنى تفاصيل مساومة الاصطبل التى قصها علىّ صديقى وكنت أثق بنجاح جران دوسيل ثقة مطلقة ، وكنت أشعر فى أعماق فؤادى بدافع شيطانى قوى يغرينى بأخذ ألفى فرنك من الصندوق الذى كنت موكلاً به أشترى منهما السوار لمرجريت ، وأتم مغامرتى بالمال الباقى ، وكنت أبرر هذه السرقة ، بأن أقول فى نفسى : إنى لا أيام قلائل أستطيع بعدها أن أرد بكل أمانة المبلغ الذى سرقته إذا ما ربحت فى مغامرتى ، ورأيتنى إذ ذاك متخلصاً من جميع همومى ومتاعبى ، مالئاً جيوبى بالذهب الوهاج ، أتناول طعام الغداء الشهى مع صاحبتى جالساً بجانبها فى ظل حمام بالمسرح ، عابثاً بين حين وآخر بشعرها المتدلى على عنقها

تخيلت ذلك كله فى لحظة واحدة ، قبل أن تحول مرجريت نظراتها عن الواجهة الساطعة .

وكنت أسحبها ضاغطاً على يدها ، مسرع الخطى ، يخفق فؤادى خفقاناً شديداً ، ثم أشعر فجاءة برأسى يضرب ضربات أليمة موجعة ، ونفسى تحدثنى قائلة : « أما إذا لم تربح ؟! . »

كنت أرنو إلى رفيقتى من جانب عينى ، ولحسن حظى كنت أراها ملتفتة برأسها إلى الجهة الأخرى ، جهة المخازن لم ترنى ، وقد رأيت فى مرآة أحد المخازن وجه مجنون يشبه وجهى ، ولكنى كنت أملك زمام نفسى باذلاً جهوداً عظيمة .

وبعد ، فماذا تراه يحدث ؟ ماذا يحدث إذا أنا لم أربح ؟ سأجلس بلا ريب محنى الظهر خافض الرأس على كرسي الاتهام وسأقاسى عذاب السجن وبلاءه إلى جانب المجرمين . لا يحدث شيء فى هذه الدنيا دون مغامرة ومخاطرة ، وإذا كان حظى الخيبة والفشل بعد ذلك فسألقى على هذه المرأة التى جعلت منى خادماً لها ، والتى لم أستطع أن أوقظ فؤادها البارد المتجمد ، سألقى عليها درساً يشعرها بحبى العظيم ، عساها تشعر أخيراً فى أعماق فؤادها ببعض الحب لى فتتألم بدورها — مهما كان قاسياً — عند ما تعلم أننى ارتكبت جريمة السرقة من أجلها .

ليس بوسعى الآن أن أصور العاصفة النفسية الخلقية الجامحة التى سودت وشوهت صفحة كرامتى . وليس بوسعى الآن أن أسرد حديث السرقة الشائنة التى ارتكبتها ، وآلامى النفسية المضنية أمام قائمة المراهنات عند ما كانت الخيول تعدو وهى تضرب ضرباً مؤلما مبرحاً ، وصهيل الجواد « ست دوبيك » الذى كاد يسبق (جران دوسيل) فى اللحظة الأخيرة لولا أن مدّ الأخير عنقه فأحرز قصب السبق بهذه الحركة الأخيرة !

لقد اكتشفت جريمتى ، وأوقفت ، وحوكمت وأدنت وكان مصيرى هذا السجن الذى تحملت فيه ألوان العذاب والبلاء والذل والهوان ، والذى لن أخرج منه إلا ميتاً .

أواه ! لشد ما شكوت من الآلام الرهيبة الهائلة ، آلام لم تحملها إلىّ آلات التعذيب المفزعة ، ولم يسببها حرمانى الحرية ، ولا وجودى إلى جانب المشردين والمجرمين وقطاعى الطرق ؛ كلا ليست من أجل ذلك ، ولكنها آلام أثارتها فى فؤادى نيران الغيرة الرهيبة القاتلة .

لم أكن قد أحسست من قبل هذا الشعور الرهيب ، ولم يبد من مرجريت فى تلك الأشهر الخمسة التى عشناها معاً ما يوقظه فى نفسي . لقد كانت مثلوجة الفؤاد ، ملازمة للدار طول النهار — ولدى أدلة على ما أقول — وفى المساء عند ما كنا نخرج معاً لم أكن أرى فى عينيها تلك النظرة التى تلقى بها كل امرأة — حتى أشرف النساء — ولو كانت رفقة زوجها ، إلى أول مار ينظر إليها نظرة إعجاب ... إن مرجريت لم تكن خليعة قط .

وقع ما تنبأت به ، إذ أن مرجريت قد حز فى أعماق نفسها إجرامى ورأت فيه دليلاً على حبي لها ، وأشهد أننى رأيتها فى جلسة المحاكمة تبكى بدموع صادقة مخلصة ملقية تبعة سقوطى على عاتقها ، ومذ سمح لها بزيارتى فى السجن — وكانت تدعى أنها أختى — بدا لى وجهها من خلال قضبان السجن شاحباً شحوب الموت دالاً على أنها تعانى حزناً عميقاً . لقد كانت تحبنى ، وكنت واثقاً من ذلك كل الوثوق

لا أزال أذكر المقابلة الأولى : كنا نتبادل النظرات من خلال القضبان الحديدية فى حزن وشجن وأذكر أنى سألتها قائلاً :

— وأخيراً ... أراك أصبحت تشعرين نحوى بقليل من الحب، أليس كذلك ؟

— لقد زاد حبي لك ، وأحسبك تدرك ذلك بسهولة

— ولكن فؤادك كان قاسياً قبل الآن

— إن عملك الأخير قد شجانى وخالط الحب من جرائه سويداء قلبى ، ولم أكن أعتقد قبل ذلك أنك تكن لى مثل هذا الحب الجامح القوى ... إختبر حبي لك إن شئت

— ليس لدى إلا شيء واحد يدفعني إلى الاعتقاد بحبك لي واقتناعي به

— قل لي ما هو ؟

— هو أن تنتظري خلاصي وتبقي مخلصة لي

— أعدك بهذا ، وأقسم عليه إن شئت

— حسن ، وكيف تودين أن تقضي هذه المدة ؟

— سأعمل !

— تعملين ؟ أنت يا صديقتي تعملين ؟

— ولم لا ؟ لقد تعلمت الخياطة وكيف أبرع بها

وعادت إلى بعد ثمانية أيام وخلعت أمامي قفازيها وأرتني أصابعها التي ثقبتها الإبر ، وخبرتني أنها تعمل في أحد المخازن المختصة ببيع ما تحتاجه المرأة ، وبدأت تربح فرنكين كل يوم ، وغدت بعد أيام قليلة أكثر حذقاً وغدا أجرها ثلاثة فرنكات وابتسمت لي قائلة:

— يمكن أن يعيش الانسان بهذا المال القليل عيش الكفاف ، وسأصبر عليه إذ لا يشغلني ولا يهمني في هذه الحياة ، إلا أمر واحد هو أن تكون يا عزيزي هانئاً ومسروراً

ورأيتها تلفظ كلمة (عزيزي) باضطراب محاولة أن تخلع عليها كل ما لديها من عاطفة ، بعد أن كانت تلفظها ببرودة وبكثير من الابتذال ، وترقرقت عيناها بعد ذلك بالدموع

لِمَ أشكو إذن من حياة السجن وثيابه البالية وطعامه الردىء وزملائي الذين هم سفلة الناس وليالي المسهدة المضنية ؟ لم أشكو من ذلك كله ما دامت مرجريت تحبني ، وما دامت تحصل قوتها بنفسها لتبقى وفية لي منتظرة خلاصي ؟ هل كنت أتصور هذا من قبل ؟ آه ما أتعسني وأشقاني ! إنني ارتكبت جريمة السرقة من أجل امرأة ، وسأكفر عن خطيئتي هذه ، وسيكون عزائي الأوحد أن أرتمي بين ذراعي هذه المرأة التي انقلبت خلقاً آخر ، والتي بعثت امرأة جديدة بفضل الحب وبفضل العمل والتي ستكون أكبر رادع لي عن السقوط الخلقي كرة أخرى . لقد أحسست بالشجاعة تغمر فؤادي وسأحتمل هنا كل العذاب الذي أستحقه دون أن أبدي تذمراً أو شكوى . ولقد كنت في أشد الساعات هولاً ، هنا في السجن لا أفكر إلا في مرجريت وكان الأمل الوضاح الذي يبدو لي بين طيات المستقبل الباسم ، ينعشني ويعيد لي نشاطي وعزمي ، كأنني تناولت شراباً منعشاً ، وكان زملائي المخيفون يسائلونني أحياناً قائلين :

— ما لنا نراك سعيداً ؟ وفيم ابتسامك الدائم ؟

فكنت لا أحير جواباً

أنا السجين البائس ، أنا الذي كان الحراس يزأرون في وجهه قائلين : من هنا — كما يقال للكلاب — أنا السجين البائس عشت ساعات طويلة كانت تغمر السعادة فيها جوانب نفسي وكان يفيض قلبي هناءة وسروراً . ولقد دامت فترة سروري شهرين متتابعين كانت مرجريت في أثنائهما تعاود زيارتي بانتظام ودقة كل أسبوع ، وكنت أتطلع في كل زيارة — وقلبي مفعم بالشفقة — إلى مقلتيها اللتين أضناهما السهر ، وإلى وجنتيها اللتين أشحبهما البؤس ، وإلى أصابعها الذاوية التي براها العمل ، وإلى ثوبها الذي كان يفقد لونه على مر الأيام

ثم جاءتني على حين غرة ، مرتدية ثوباً جديداً فكان ذلك مثيراً لارتيابي ، ولحظت وجهي تتعاوره الشكوك فألقت إليّ نظرة حادة وقالت باسمة :

— أراك تنظر إلى هذا الثوب الجديد ،

لقد وهبتنيه صديقتى كلوتيد التى كانت معى فى المرة الأولى التى لقيتك فيها ، أغرم بها شاب حتى درجة الجنون وراح يعمل من أجل إرضائها مالا يستطيعه إلا المجانين. ولما رأت ثيابي الزرية الرثة أهدت إلى هذا الثوب الذى لم تلبسه إلا قليلاً ، ولم أره بحاجة إلى الإصلاح فهو جديد كما ترى

سمعت هذا الكلام فلم أستطع أن أصدقه ، ذلك لأن مرجريت لم تحدثنى قط منذ عرفتنى عن هذه المرأة التى دعتها كلوتيد وادعت أنها صديقتها ، وقبل أن أعرف مرجريت كانت المرأتان تقطنان أحد الفنادق متجاورتين وكانتا تذهبان معاً إلى المراقص العامة ... هذا هو كل شيء ، وكنت أذكر جيداً أن كلوتيد هذه فتاة قد ذوى شبابها وزال رواؤها وانطفأ جمالها وسقطت فى مهاوى البؤس والفاقة ، وكان أقصى عمل تستطيع أن تقوم به هو أن تنوى أحد الشاربين المثلين بفضل الأصبغة التي تستر وجهها ، ولن تستطيع امرأة مثلها أن تجد حبيباً ذا غنى لتتكرم على صديقتها بمثل هذا الثوب ... وزادنى اعتقاداً بكذب مرجريت ارتجاف نظراتها واضطرابها ، واهتزاز جفونها ، ولم تكن عيناها فى الحقيقة إلا عينى كاذبة !

وكدت أصارحها بكل مافكرت فيه وماحدثتنى نفسى به ، وكدت أميل عليها بالعتاب ، لولا أننى خشيت أن تهجرنى إلى الأبد ، فسكت على مضض وأخفيت ما فى نفسى ، وراحت هى تتابع حديثها العاطفى قائلة لى : إن أجرها قد بلغ ثلاثة فرنكات ونصفاً ، وأربعة فرنكات أحياناً فى اليوم ، وأن لديها كثيراً من العمل حتى إنها لا تجد الوقت الكافى للقيام به ، وإنها بدأت تفتش عن مساعدة لها ، وراحت ترسل الأكاذيب تباعاً دون خوف أو خجل.

وثارت فى نفسى عاصفة قوية من الألم والغضب ، كادت تنفجر لولا أننى غالبتها ووجدت القوة على إخمادها وبقيت هادئاً حتى النهاية ، ولم أكن أجيب إلا ببضع كلمات تافهة على ثرثرتها التى لا تنتهي ، وأعتقد أنها عللت صمتى بحالتى المؤسفة التعسة وتركتنى مرحة واثقة أنها استطاعت خداعى

وظلت مرجريت تخدعنى . وبينما كنت أتحمل من أجلها عقاب السارقين كانت قد اتخذت ـ أواه ماذا أقول ـ اتخذت حبيباً ربما استسلمت إليه فى الليل لقاء هبات تافهة . لئن رأيتها ترتدى الآن ثوباً جديداً فأنا واثق من أنى سأرى فى يديها ، فى المرة القادمة ، قفازاً جديداً ، وعلى رأسها قبعة جديدة ، وفى جعبتها أكاذيب جديدة تهيئنى لفاجآت جديدة . ويا ليتها جاءتنى بثيابها الرثة كاتمة عنى حديث ثوبها الجديد ، ولكن ما إخالها استطاعت أن تظهر فى الشارع بتلك الثياب ، وفضلت أن تخترع كل هذه الأكاذيب الشائنة ، وما إخالها إلا هازئة كتفيها قائلة فى نفسها : « وماذا يهمنى بالله إذا كان لا يصدقنى ؟ » تباً لها من فتاة خائنة فاجرة ! أمن أجلها ارتكبت جريمة السرقة ؟ أمن أجلها دنست شرفى وشوهت سمعتى ؟ ألا تعساً لى

ولكن . . كنت أسائل نفسى قائلاً : لماذا كانت تزورنى ما دامت تخوننى وتبغضنى ؟ ولكنى كنت أحس الجواب فى نفسى : إن الشفقة علىّ كانت تدفعها لزيارتى ، كما يشفق الإنسان على خادم المستشفى فيحمل إليه قليلاً من البرتقال . أواه ! يا للعار ! أكانت تشفق علىّ إذن ؟

قضيت ثمانية أيام رهيبة وأنا أدير هذه الخواطر

فى رأسى بلا انقطاع ثم تملكنى الذعر وقلت : هل تأتى لتزورنى فى يوم الزيارة القادم ؟ وتذكرت فى غمرة اليأس القاتل كم كانت مرجريت عزيزة علىّ حبيبة إلىّ ، وأقسمت أن أخفى عنها غيرتى ولا أبدى لها ارتيابى وألمى وقد وفيت بهذا القسم

عادت إلىّ بقبعة ربيعية جديدة ـ كما قدّرت ـ وكلت بها هيئتها وكان الاطمئنان والسرور يشعان من عينيها وبشرتها غضة . أكانت تعيش هذه المرأة فى بؤس ولا تحصل على قوتها إلا بخياطة رقع طول النهار والليل ؟

ورغم هذا كله ظللتُ شجاعاً ـ أو ساذجاً على الأصح ـ إذ كان يخيل إلى أنها تصيب بتظاهرها بالسرور وبادّعائها أنها تستخدم عاملتين مع مائة أكذوبة من هذا النوع ، وتظاهرت بمشاركتها السرور ، ورجوتها بعطف ورِقّة أن تخلع قفازيها وأن تستند بيدها إلى الحاجز الذى يفصلنا لأستطيع لمسها بشفتى ، فأطاعتنى . ولشد ما كانت دهشتى إذ رأيتُ يديها غضتين لا أثر فيهما — ولا فى منتهى أصابعها — لثقب إبرة أو ...

ما هذا ؟ إنى أسمع ساعة السجن ترنّ الحادية عشرة والنصف ، وستفنى قطعة الشمع الباقية لدىّ بعد وقت قصير فلأسرع إذن ولأختصر . إذ لو كان أمامى متسع من الوقت لسرّنى أن أصف هنا القلق الذى انتابنى وغمرنى بالألم والذى يمكن بيانه بهاتين الكلمتين الرهيبتين : سجين غيور ! أجل ، يسرنى وايم الله أن أصف وصفاً دقيقاً الآلام والشجون التى كانت تثيرها مرجريت فىّ فى كل زيارة جديدة ، ولا بد لى من وصف إحداها هنا إذ كانت أروع الزيارات وأقساها وأشدها هولاً :

بينا كنت أنتظر فى ذلك اليوم قدوم صاحبتى كنت أحاول إقناع نفسى بأننى أسأت الظن أكثر مما ينبغى وأنه ليس من المستحيل أن تجمع المرأة عن طريق عملها بعض المال الذى تستطيع أن تبتاع به بضعة أثواب وحلى ، ومكّن هذا الخاطر من نفسى ذكرى عادت إلى : لم تتحل مرجريت أثناء زيارتها لى بالحلى التى قدمتها إليها وقد أصرت يوم المحاكمة على أن تعيد لى السوار الذى اشتريته لها بالمال المسروق ، وبرغم أنها كانت فتاة فقيرة فقد كانت تبغض الحلى المزيفة أشد البغض ، ولم أعرف أنها تحلت بأية زينة حتى أن أذنيها لم تكونا مثقوبتين . وقد هاجت هذه الذكرى شعورى . ثم ذكرت أننى وإن لم أر خاتماً فى أصبعها ، كنت لا أرى أثر العمل ظاهراً فيها ، ومع ذلك فقد حسنت ظنى — وإن كان من الممكن أن تكون قد قبلت حليا ولم تبدها لى — وأحسست فى نفسى ميلاً لحسن الوفادة والمعاملة ، وكنت أريد أن أقنع نفسى بأننى ظلمتها بإساءة ظنى بها

قدمت على عادتها فى الوقت المحدد ، ولم تكد تقع عينى عليها من خلال القضبان الحديدية حتى تبدد ارتيابى وزالت شكوكى ، ولكنها لم تكد تقترب منى حتى رأيت ـ أواه ، يا لسخرية القدر ـ رأيت فى أذنيها ثقبين غضين ! أأصبحت تملك حلياً هذه المرأة التى كانت تبغض الحلى الزائفة ؟ رأيت فى أذنيها جواهر ثمينة بل لآلئ وأظن أنها وضعتها لتحلوَ فى عينى ولتقدّم لى دليلاً على رقّتها ولطفها ، غير عالمة أنه من اللطف أن تخفيها عنى وتعفينى من رؤيتها !

منذ ذلك الحين لم يعد يداخلنى أى ريب فى خيانتها ، وصممت إذ ذاك على الانتحار ، وقد كان

الأحرى بي أن أصمم عليه منذ وقت طويل ، ولكن ما فائدة الكلام ؟ إن الإنسان جبان يخشى الموت .

وبعد ، وبرغم كل ما ذكرت ، أعترف بأنني لا أزال أحب هذه المرأة ، وكنت أتعمد في الليل على فراشي — إن صح أن أدعوه فراشاً — سابحاً في أحلام عذبة لا أرى فيها إلا مرجريت ... أواه ! لقد تقاوبني كل لون من ألوان الضعف ، ورحت أفكر في استرجاع مرجريت وغدوت أسخر من نفسي وأهزأ بغيرتي قائلاً : « إن ضميرك حساس ويقظ أكثر مما يجب أن يكون » ، ولكن التفكير في أنها خدعتني وأنها أصبحت ملك رجل — أو رجال — غيري بينما أنا موثق في السجن بسببها ، كان يدفعني إلى الغضب ، بل إلى الجنون .

أجل ، إن من الممكن — كما قلت في بدء اعترافاتي هذه — أن أتناول معها طعام الإفطار صباح غد في غرفتنا الصغيرة إلى جانب النافذة التي تطل على الحديقة الكبرى ذات الأشجار الخضر الزواهي . كم يكون ذلك جميلاً رائعاً ... ولكن ... لو حانت مني التفاتة إلى الموقد ، ووقع بصري على عقب دخينة (الرجل) بين الرماد المحترق ، لو قدر لي أن أرى ذلك لتناولت سكينا وأغمدتها في قلبها

ولكن لا ، لا أريد أن أغدو قاتلاً . يكفيني أنني سارق ، وخير لي أن أموت دون أن أحمل لها حقداً أو موجدة وأقنع نفسي أن ما حدث لم يكن منه مفر ، وأنها كانت مخلصة لي ، وأنها مع هذا ربما كانت تحبني قليلاً في اليوم الذي لم تقو ويا للأسف على الوفاء به

وداعاً يا مرجريت ... إنك لا تزالين شريفة في أعماق نفسك ، وإخالك ستذرفين قليلاً من الدمع عند تلاوة هذه الصفحات ، ولكن كل شيء إلى نسيان ، وعند ما يسألك أحد أحبائك الذين تجمعهم بك المصادفة ، عند ما يسألك أن تقصي عليه قصة حياتك لمجرد التسلية ، ستكونين مزهوة كممثيلاتك . ستقفزين من سريرك عارية القدمين لتفتشي عن هذه الأوراق في درج خزانتك الذي تضعين فيه أوراق اللعب ، وعند ما تعودين إلى سريرك ستُقرئين اعترافاتي هذه كل زائر ليلي مزهوة فخورة بأن شاباً بائساً تعساً انتحر من أجلك وفي سبيلك

أوّاه ... لقد انتصف الليل ، وها هي ذي الساعة تدق اثنتي عشرة ، وها هي ذي ذُبالة الشمعة تحتضر هيا ... لأفتل غطاء السرير ولأربطه بالنافذة ، ولأُحكِمْ عقده على عنقي ... لأتشجعْ ولأنتهِ من آلامي ، ولأتخلصْ من شقائي

(دمشق) نامي الطنطاوي

ظهر حديثاً

عبث الأقدار

قصة مصرية تاريخية

تاليف

نجيب محفوظ

يطلب من مكتبة الوفد والمكاتب الكبرى

المنفى ...

للفيلسوف الروسي تولستوي

بقلم الأديب مصطفى مصطفى

كان يقيم فى فلاديمير تاجر ثرى يُدعى « إيفان دتريش اكسينوف » يذكره سكان هذه القرية ، إذ كان فى شبابه سكيراً معربداً يثير الإعجاب فى صدور نسائها بشعره الطويل اللامع وصوته الجميل الحلو ، ولاشك أن فتيات القرية الطائشات قد فتنهن حديثه قبل أن يؤخذن بقوامه الطويل وصدره القوى العريض .

ولكن « اكسينوف » لم يلبث أن استهواه الوقار وتحببت إليه الرزانة فترك الطيش وودع لهو الشباب ومفاسده ، وسكن إلى بيته بعد أن تزوج ينشد حياة الهدوء والراحة ، ويعمل لإسعاد أولاده وإرضاء زوجه .

وفى أحد أيام الصيف القائظ عزم التاجر على الرحيل إلى قرية (ناذنى) لقضاء بعض أعماله التجارية ، فأعد عدته وحيا زوجته وهم بالخروج ، ولكنها استوقفته قائلة :

— إيفان ... لقد حلمت الليلة حلماً مزعجاً ... لا ترحل اليوم ...

فقهقه التاجر بشدة وهو يقول :

— بل قولى إنك تخشين أن أعرج فى طريق على حانة أو أغازل امرأة ...

— لا ... لقد حلمت أنك عدت إلى المنزل بعد رحلتك هذه ، وشعرك قد تحول إلى لون الثلوج البيضاء !...

ولكن « اكسينوف » لم يهتم ، إذ صور له الخبث أنها ابتدعت هذا الحلم ابتداعاً كيما تبقيه بجانبها شأن بنات جنسها لا يردن أن يبتعد عنهن رجالهن .

وهكذا تركها ومضى إلى البلدة التى يريدها حتى إذا بلغ منتصفها رسمت له الأقدار خطة ونفذتها ، إذ ألقت أمامه فى الطريق صديقاً قديماً كان يعرفه دعاه لأن يقضى الليلة معه فى فندق صغير

وأخذ كل منهما يقص على الآخر ما مر عليه من أيام حلوة أو مرة حتى إذا تأخر عليهما الوقت صعد كل إلى حجرته

كان على « اكسينوف » أن يستيقظ فى فجر الصباح المقبل ليواصل رحلته المتعبة فنام قليلاً ثم استيقظ ولما تتجاوز الساعة الثانية بعد منتصف الليل فأمر خادم الفندق أن يهيىء له جواداً وعربة ، ثم انطلق فى جوف الليل البهيم بسرعة جنونية ، فقطع حوالى خمسة وعشرين ميلاً لم يستطع الجواد المسكين أن يتابع مسيره بعدها

وفى نهاية هذه المرحلة وجد « أكسينوف » فندقاً صغيراً وضع فيه رحاله وجلس يتناول فطوره بشهية منتظراً إشراق الصبح الجميل ، وبينما هو يتجه ببصره إلى أقصى الطريق روعته أصوات عربة قادمة وهى تدق أجراسها ذات الصليل المرتفع ، أخذ يرقبها حتى تبينها فإذا هى عربة البوليس يركبها ضابط وبجانبه جنديان شاكيا السلاح ، فلم يهتم

« اكسينوف » بهم إذ كان التعب قد هاجه والنوم ابتدأ يداعب جفونه

ولكن الضابط تقدم منه يسأله عن اسمه وكيفية قضاء ليلته ... ولم هو منفرد ... وأين صديقه الذى نام معه فى فندق واحد ؟... وأجابه التاجر على ذلك كله بحسن نية وأردف قائلاً :

— هل لك فى قليل من الشاى ؟

ولكن الضابط لم يجبه وأخذ يسأله بخشونة عن اسمه وصناعته وغير ذلك من أسئلة رجل البوليس عند ما يمثل أمامه مجرم ، فعجب التاجر من كل هذه الأسئلة المتلاحقة ، ولكنه وصف له كل ما فعله ولماذا غادر الفندق قبل الصباح ... ثم سأله :

— ولكن لم كل هذه الأسئلة ؟ إنك تسألنى كما لو كنت قاتلاً أو سارقاً ! ...

ولم يجب الضابط بأكثر من قوله :

— لقد وجد صديقك التاجر مقتولاً هذا الصباح ، وأنت الوحيد الذى تتجه إليه الشبهة

ثم نظر إلى رجليه وأمرهما أن يفتشا حقائبه ، وعندئذ ضحك اكسينوف من سذاجة هذا الشرطى وسمح له بما أراد ، وأخذ الجنديان يقلبان متاعه وهو ساكن لا يتحرك . على أن هدوءه لم يلبث أن انقلب رعباً وخوفاً ، ذلك أنه شاهد أحدهما يخرج من حقيبته خنجراً يقطر منه بعض الدم اللزج

وعند ما رأى الضابط هذا الشهد صاح فى التاجر :

— كيف تعلل وجود هذا الخنجر فى حقيبتك ؟

— لا أعرف ... لا أعرف ... إنه ليس لى

وأمر الضابط رجليه ، فوضعا القيد فى يده ثم قذفا به إلى عربة البوليس كما لو كان قاتلاً حقاً ...

كان اكسينوف بريئاً ... ولم يكن الخنجر خنجره ... ورغم أنه كان واثقاً من ذلك لم يستطع أن يمنع جسمه عن الارتعاش ، وصوته عن الاضطراب ... وأخيراً عن البكاء . لقد أخذوا كل ماله ... ثمانية آلاف وروبل هى كل ما يملك من ثروة ... وها هم أولاء يرسلونه إلى أقرب سجن ليلقوه فيه ... ولاح له المصير الاسود الذى ينتظره ، فعاد مرة أخرى إلى البكاء بعد أن كف عنه . وراحت إشاعات القبض عليه تسرى مسير الرياح ، وصقلتها ألسنة الرواة وشفاه المحدثين ، حتى إذا بلغت أسماع زوجه المسكينة خيّل لها حقا أنه قاتل مجرم فلم تعرف ما تفعله وضاقت الدنيا فى وجهها

ها هى ذى ترى زوجها ملقى فى أعماق السجن وليس لديها ما يكفل لها السفر مع أولادها إليه ... وها هى ذى تجد المستقبل حالكاً كسواد الليل وتحاول الوصول إلى ثغرة من النور فيه فلا توفق

لم تجد المسكينة إلا إراقة دماء وجهها فطلبت من أصدقاء زوجها ما تستطيع الوصول به إلى حيث ألقوه متهماً بأشنع تهمة ، حتى إذا بلغت السجن منعوها عن رؤيته ، فراحت ترجو وتتوسل وتمعن فيهما إلى أن استطاعت أن تنال إذناً برؤيته

يا للحظة التى شاهدت فيها زوجها مرتدياً ملابس السجن كاللصوص والقتلة ! لم تستطع احتمال هول ذلك اللقاء فأغمى عليها ... وعند ما أفاقت جلست بجانبه تلتقط أنفاسها وهى تبكى بحرقة قاتلة ... قصت عليه كل ما فعلته منذ رحيله ، وحدثها هو بالحقيقة كاملة ... وأخيراً سألته من خلال دموعها المنهمرة على خديها الذابلين:

— والآن ماذا سنفعل ؟

— ليس أمامنا سوى القيصر نشكو له

— لقد أرسلنا له عريضة فلم تحز القبول

لم يجب (أكسينوف) بل رمق الأرض بنظرة تائهة ذاهلة بينما اقتربت زوجته هامسة :

— أوه يا أكسينوف ! ليتك لم تخرج فى هذا اليوم ... لقد حلمت أن شعرك سينقلب أبيض كثلوج سيبريا ... ولكنك ضحكت وسخرت منى

وأخذت تعبث بشعره فى حنان ورفق ثم قالت :

— فاينا ... أيها العزيز ... قل لزوجتك الحقيقة ... اعترف لها هل فعلت ذلك ؟

بكى الرجل ورفع رأسه ينظر إليها بحدة صائحاً :

— أنت ! ... حتى أنت ! تظنين أننى قتلته ؟

وأطرق إلى الأرض يئن ويتوجع فلم يفق إلا على صوت الحارس يطلب انصراف الزائرين ... وكان الوداع ... الوداع القاسى الذى لم يستطع أحدهما أن يمنع الدموع المنهمرة من عينيه أثناءه كان الوداع الأخير

وما كادت الزوجة المكلومة تتوارى عن عينى (أكسينوف) حتى رفع وجهه إلى السماء قائلاً :

— إن الله وحده الذى يعلم الحق من الكذب إليه وحده يجب أن نضرع ... وله يجب أن نشكو ونرجو

ومنذ تلك اللحظة لم يتظلم إلى إنسان ولم يسأل مخلوقاً

وأخيراً صدر عليه الحكم فنفوه مع آخرين إلى سيبريا حيث مكث هناك ستة وعشرين عاماً انقلب فى أثناء أعوامها الطويلة من سواده الجميل إلى بياض ناصع ... تماماً كلون الثلوج فى سيبريا ، وتضخمت يداه من كثرة العمل ، وانقلب شبابه الغض شيخوخة هرمة ، وزال ما كان يتمتع به من جاذبية طالما حببته إلى قلوب نساء قريته ... كان يمشى ببطء ... لا يتكلم إلا قليلاً ... بل نادراً ولم يضحك أبداً ولكنه أحياناً كان يبتسم ابتسامة لا معنى لها

تعلم فى مدة سجنه صناعة الأحذية وكانوا يعطونه أجراً ضئيلاً تمكن بادخاره من شراء نسخة من كتاب (حياة القديسين) . فكان يجلس كل أوقاته يطالع فيه ... وفى أيام الآحاد يتوجه إلى شبه الكنيسة المقامة هناك فيستمع إلى دروس الوعظ ، وينشد معهم الأناشيد الدينية بصوته الذى كان يحتفظ بالبقية الباقية من جماله

كان مستقيماً ... هادئاً ... وقوراً ... فأحبه الجميع وتعودوا على طاعته والاستماع لمشورته ، حتى بات الحاكم بينهم لا مرد لحكمه ، وبات الجميع يعطفون عليه وينادونه كأنه أبوهم الكبير

وكرت الأيام تسير على وتيرة الملل والسأم حتى جىء إلى المنفى برجل ارتكب جريمة استحق عليها ذلك ، فاجتمع حوله المنفيون يسألونه ويتنسمون أخبار العالم ... أما « اكسينوف » فقد جلس بجوار (الوارد الجديد) يستمع فى صمت وفى تفكير ... وراح هو يقص عليهم قصته ولكنهم كانوا متشوقين لمعرفة اسم القرية التى جاء منها ليسألوه عن أخبار ذويهم ، ولما لم يقل لهم سألوه :

— أخبرنا ... من أين أنيت ؟

فأجاب :

— من قرية « فلاديمير » أيها الرفاق ... واسمى هو « سيمونيش »

وعند ذلك رفع « اكسينوف » وجهه وقد برقت عيناه سائلاً :

— أخبرنى . . . هل تعرف شيئاً عن أسرة التاجر « اكسينوف »

— طبعاً ... إنهم أغنياء جداً ... وأبوهم هنا على ما أعلم

ولكن عرفنى أيها الأب كيف جئت إلى هنا ؟

كان « أكسينوف » لا يرغب فى الحديث عن نفسه .. وما جدوى الحديث عن النفس ؟.. ولكنه عندما عرف أن هذا الرجل من قريته ، بل ويعرف كل شىء عن أسرته اقتنع بقص قصته عليه . . . حكى له كيف جاءوا به إلى السجن ظلماً وكيف اتهموه بقتل صديقه كذباً . . . وكيف دسوا له خنجراً دامياً .

وعندما فرغ اكسينوف من قصته لاحت الدهشة فى عينى الرجل وتمتم بصوت خافت :

— إذن هو أنت أكسينوف . . . حقاً إنه من الغرابة أن نلتقى ...

وعندما تقابلا مرة أخرى سأل السجين أكسينوف :

— ألا أستطيع أن أؤدى لك خدمة ؟

— ترى هل عرفوا القاتل الحقيقى ؟ ...

— لقد وجد الخنجر الذى قُتل به صديقك فى أمتعتك فمن ذا الذى وضعه فيها ... ؟

شعر أكسينوف أن محدثه يعرف أكثر مما يظهر ... بل قد يكون هو الذى وضع ذلك السلاح الملعون فى أمتعته دون أن يشعر . . . فهز رأسه ببطء ومضى فى حاله ...

أى أفكار ناء تحتها المسكين وهو راقد فى فراشه يفكر ... لقد أخذت الصور تتزاحم على رأسه الكليل ... رأى زوجته وهى تحدثه ... وهى تضحك ... كانت تحلق دائماً فى الفضاء ... شاهد أطفاله صغاراً كما تركهم ... أحدهما لم يزل فى مهده ، والآخر يكبره بقليل ... وسبحت أفكاره وحلقت فى اللانهائية . . . تذكر كيف رحل رحلته المشئومة ، وكيف قابل صديقه ، وعربة البوليس وهى تدوى بأجراسها . . . وأخيراً . . . القيد وهو يطوق يديه... تراءت له الأعوام الطويلة التى قضاها فى المنفى . . . تلك التى أبدلت شبابه كهولة . . . اللصوص ... اللصوص ... لقد سرقوا منه العمر كله فما بقى منه شىء ...

شعر أنه احتمل العذاب بدلاً من «سيمونيش» ذلك السجين الجديد الذى وثق « اكسينوف » من حديثه ونظراته من أنه هو القاتل . . . فى ذلك الوقت شعر بعذاب الأعوام التى كرت فى الشقاء والتعب يتجمع ليرسم له صورة مروعة كيما ينتقم ، فلم ينم فى ليلته تلك ، حتى إذا كان الصباح خرج مبكراً يسير فرأى « سيمونيش » جاثياً بقرب السور يحفر حفرة كبيرة ثم يغطيها بقطعة من الصفيح ... شاهد كل ذلك ثم سار ببطء دون أن يتكلم ، ولكن سيمونيش لحق به وأمسكه قائلاً :

— إننى أحفرها لأستطيع أن أهرب عند الفجر ... وإننى أطلب منك الصمت أيها الأب ... سأهرب سوياً ... أما إذا اعترفت لأحد فإنهم سيسلبوننى الحياة ولكن بعد أن أكون قد قتلتك

نظر أكسينوف بكره نحو ذلك الشخص الذى سلبه الحياة وقال :

— شكراً لك ... ليست لدى رغبة فى الهرب وليست هناك فائدة من قتلى ... لقد قتلنى حياً ذلك الذى وضع خنجره فى حقائبى ... من يدرى ؟ ربما

كفت أنت ... إن الله هو الذى يعرف

وسار فى طريقه وفى عينيه دموع حائرة

واكتشف مدير السجن الحفرة فراح يسأل الحرس والمنفيين دون جدوى فلم يكن يعرف من أمرها غير أكسينوف وحافرها

ولما يئس نادى أكسينوف وسأله إذ كان يعهد فيه الصدق :

— أيها الأب من الذى حفر تلك الحفرة ؟

كانت أمامه فرصة يستطيع أن ينتقم فيها من ذلك الذى دفع به إلى السجن ولكنه ناجى نفسه :

— هل أنتقم منه ؟ سيشنقونه ... وقد يكون ظنى خاطئاً إذ قد لا يكون هو ... أى فائدة تراها ستعود عليه إن هو فعل ؟

وطال صمته بينما كان (سيمونيش) ينظر إليه بخوف ... وأخيراً تكلم :

— إنك يا حضرة المدير بشر مثلى ... ولقد أقسمت ألا أشكو لبشر أو أشكو بشراً ... وفى استطاعتك أن تفعل بى ما شئت فلن أنطق باسم الفاعل ...

وفى تلك الليلة لم ينم أكسينوف .. كان يفكر ويفكر ... وفجأة شعر بأنفاس قريبة منه فقام من فراشه فراعه أن يرى سيمونيش أمامه فصاح :

— ماذا تريد أيضاً ؟

— إيفان اكسينوف ... إننى أطلب غفرانك

— من ماذا ؟

— أنا الذى قتلت صديقك ووضعت الخنجر فى حقيبتك

لم يعرف ما يقوله ... وارتجف وهو ينازع أحاسيسه بينما سجد سيمونيش صائحاً :

— اغفر لى ... من أجل الله ... امنحنى غفرانك ... سأعترف لهم وسيطلقون سراحك

فأجاب اكسينوف ببطء :

— إنه من السهولة أن تتحدث الآن عن إطلاق سراحى ... ولكن تصور ستة وعشرين عاماً أقضيها هنا ... كيف أخرج الآن ؟ وهل سيعرفنى أولادى ؟.. لا ... لن أخرج

لم يجب الآخر بل ضرب الأرض برأسه باكياً وهو يصيح كطفل صغير :

— إيفان ... اغفر لى ... لم أعرف أننى أدفعك نحو هذا المصير ... إننى أندم ... أقسم لك ... أوه ... اغفر لى ... اغفر لى أيها الأب

وراح يبكى بكاء مراً . . فبكى اكسينوف معه وهو يقول :

— ليغفر الله لك أيها الذى هدمت هنائى وسعادة أسرتى . . . ليغفر الله لك أيها الذى مكثت طوال أيامى أدعو الله أن ينتقم منك دون أن أعرفك . ولكننى الآن أرثى لك ... لطالما اشتاقت نفسى إلى الخروج من هذا السجن إلى حيث منزلى وأسرتى أما الآن فليست لدى أية رغبة فى الحياة ... ماذا سيفعل العالم برجل مهدم عاش كل ذلك العمر الطويل بعيداً عنه ؟. إننى لا أود الحرية بل أريد قضاء بقية أيامى أعيش متأملاً فى سر عدالة الله ... ومعرفة خواطر ونفوس من يحيطون بى ...

وعند ما صدر الأمر باطلاق سراحه بعد أن اعترف سيمونيش بجريمته كان ينازع سكرات الموت ...

لقد بكاه الجميع ... وحزنوا عليه ... ولكن سيمونيش كان أكثرهم بكاء وأشدهم حزناً وهو يودع جثمانه الوداع الأخير ...

مصطفى مشعل

فقرة جديدة ـ حب ...

للكاتب الأمريكى كارول هارنج

بقلم الأديب أبو بكر على

« فقرة جديدة » قال ذلك ستان ونيتروب . وفكرت باربارا بل ، وهى جالسة إلى جانبه وكتاب الاختزال على ركبتها ، كم هو لا ينثنى عن الإكثار من الفقرات ! إنه يحب أن يملى « فقرة جديدة » كل بضعة جمل ، ولكنها لم تلق بالها . . . لم تكن تلقى بالها لأى شىء يفعله فى الحقيقة ، لأنها كانت واقعة فى حبائل غرامه منذ شهر . حالة عقلية مثيرة تطرد منذ اليوم الذى جعله فيه عمه وكيلاً للرئيس للعناية بتقدم حالة البيع ، ومنحه باربارا «سكرتيرة» ومعينة، قائلاً : « ستان ! إنى أترك لك باربارا كمنحة خاصة ، فهى ستعينك على تخطى النقط الوعرة » . وحتى فى ذلك اليوم نظر إليها بطريقة جعلت قلبها يخفق . وقال : « آمل ألا نجد — أنت وأنا — أى نقط وعرة » .

وكلما مضى العمل ، كانت « نقطه الوعرة » قليلة قلة مدهشة ، لأن ستان كان — بكبرياء بسيطة أعجبتها — يعمل بجد واجتهاد أكثر مما لو لم يكن عمه رئيساً . كان يشعر شعوراً قوياً أن الناس قد يظنون أنه إنما يدين بمنصبه إلى تلك القرابة

سأل ستان فجأة : هل قلت « فقرة جديدة » ؟

— أجل !

وبدلاً من الاستمرار ، أخذ ستان ونيتروب ينظر إلى رأس باربارا الأسود ، ووجهها البيضى الجميل المحبوب ، وثغرها الجميل ، وقد ضغطت شفتها السفلى بلطف ، ناظرة خارج النافذة ، سابحة فى أفكارها . ثم أكمل قائلاً : « أود أن أختم هذه الرسالة الخاصة بتحيتكم جميعاً أيها العملاء ، أود أن أختمها بفكرة أنكم أكثر من عملاء . . . أنتم سفراء ! »

ثم توقف ثانياً . وتركت باربارا أفكارها تعود إلى الماضى القريب إذ تناولا الغداء معاً هذا اليوم ، وإلى العشاء الذى تناولاه معاً منذ أسبوع ، ثم تتجه إلى مساء سعيد مقبل ، والآن فى هذا الوقت القريب سيحتويها ستان بين ذراعيه ويغمرها بالقبلات . إن العقل لشىء عجيب ! ها هى ذى تستطيع أن تجلس فى مكتب فى نيويورك ومع ذلك يقبلها ستان بجانب غدير فى غابة ، حيث يغسل ضوء القمر كل قبيح فى الدنيا فيكسبه جمالاً !

سأل ستان فجأة : « أين كنا ؟ »

— فى « أركادى » .

هذا ما كانت تجيب به ، ولكنها ملكت زمام نفسها . فقالت : « إنكم أكثر من عملاء ... أنتم سفراء »

ورفعت بصرها ، فرأت ستان يسرع بإلقاء نظره بعيداً . فوجب قلبها فجأة : فيم كان يفكر أثناء دراسة وجهها القصيرة هذه ؟

نهض بسرعة ودلف نحو النافذة كأنه يكافح أفكاره . ولاحظت هى كيف تلائم سترته منكبيه العريضين ؛ ونفذ إلى قلبها شعور غريب . وقف متأملاً ومفكراً ، ووجهه النحيف الجميل فى وضع جانبى . أكان يفكر فيها ؟ لقد بدا الجو وكأن شيئاً كهربائيًا يحلق بينهما ، وانتظرت باربارا معدومة الأنفاس ... وفجأة استدار وتكلم « حب ... » وأسقطت باربارا القلم

فأتى إلى جانبها والتقطه مدهوشاً وقال : « ما الخبر ؟ »

فاحمر وجهها خفراً وقالت : « أنا ... أنا ظننتك ستقول شيئاً »

فطمأنها قائلاً : « سأقول » ورد إليها القلم . ثم أكمل : « حب الأدب بداية التعليم » . ورسب قلب باربارا إلى قرارها ، فلم يكن هذا سوى إعادة الإملاء : « هذا مبدأ كتب وينتروب الجامعة ، ورسالة لكم أيها العملاء ، لتحملوها إلى كل مدرس فى أمريكا » . وتلألأت ابتسامة على ثغر ستان ، وقال : « هذا كل ما هنالك . ما رأيك فى ذلك ؟ ها قد قلت شيئاً . ألم أقل ؟ »

ودت لو أجابت : « ولكنه ما لم أكن آمل أن تقول . كنت آمل أن تقول : فقرة جديدة يا باربارا أحبك ، أحبك »

لقد كان عقلها شيئاً عجيباً حقا ، فقد استطاع أن يتصور المنظر الخيالى : ذراعاه حولها تضمانها إليه وهو يقول : « ضمى القلم ! إنما شركة وينتروب نتيجة عرضية بجانب هذا الحب العظيم » . أوه ... نعم ، إنها تقدر أن تكتب هذه الكلمات الصامتة فى عقلها وهى تجلس ها هنا إلى جانبه « سكرتيرة » هادئة لا تبدى حراكا . وفجأة أخرجها صوته من تخيلاتها قائلاً : « لقد قلت ، لقد قلت شيئاً ، ألم أقل ؟ أم أنت لا تحبين ما قلت ؟ »

فأجابت وهى تقف : « أوه ، نعم ، إنه سيكون فوق المظمة فى الاجتماع . »

فقال متلهفاً : « أو تظنين ذلك ؟ »

فوقفت بالباب قائلة : « بالتأكيد ، إنهم سيلتهمونه . »

— باربارا ، إنك لمون كبير

انتهى وقت العمل ، ولذا ذهبت باربارا إلى غرفتها الوحيدة وحمامها ومنظر هروب النار ، مفكرة كيف بدأ الأسبوع مفعماً بالأمل ، وودت أن تستمر آماله اللألاءة بلا انقطاع . ولكن كان من خيبة رجائها أن تستيقظ فى الصباح التالى وهى تشعر بوصب ، فلجأت إلى مقياس حرارتها الخاص ، وا كتشفت أن حرارتها عالية . فنزلت إلى التلفون فى البهو الأسفل وأخطرت المكتب أنها لن تذهب هذا اليوم

لم تكن تحب أن تمرض ... لم تكن تحب فى هذا اليوم والربيع قادم بكل ما تريد أن تعمله مع ستان

وفى ثانى صباح شعرت بعودة التحسن ، بعد أن قضت يوماً فى الفراش ، وعادت إلى العمل

قال ستان : « لم أجدك أمس »

فأجابت باربارا : « لم أدر ما حدث . لقد حسبت أنى أصبت بحمى فلزمت البيت ، ولكنى أشعر اليوم بتحسن . »

فضحك ستان وهو يشعر بسرور قائلاً :

« ومنذا الذى لا يشعر بتحسن ؟ إننا فى الربيع ! » ثم قال : « فلننجز بعض الأعمال الآن ، ثم يمكننى أن أخلو ساعتين للغداء ، وأمشى

فى حديقة « سنترال » إلى حديقة الحيوان ، وأصغى إلى نباح كلاب البحر . وستذهبين معى . »

وهذا ما فعلاه تماماً ، فى شمس إبريل الساطعة ، وخفقان الجو الدائم اللطيف . لم يحبا أن يعودا للعمل ، ولكن ستان قرر أن الأفضل أن يجتمعا ثانية للعشاء ، ويقضيا المساء معاً .

واجتمعا ... ولقد فعلا مثل هذا سابقاً ، ولكن ليس فى مثل هذا الحال ، حتى أن صوتهما كان حاراً رقيقاً بغير كلفة . وأثناء عودتهما بالسيارة ، أصبحت — فجأة — اللحظة التى أملتها طويلاً حقيقة ملموسة ، وذلك حينما انحنت باربارا إلى الأمام لتنظر إلى حانوت ، وتحرك ستان ليقبلها ! ونتيجة لحركتهما أطاح ستان قبعتها وأسندت رأسها إلى كتفه قائلة : « أخبرنى عمك أنى هنا لأعينك على النقط الوعرة »

وتلاشت بسماتها فى القبل التى غمرها بها ، ووقفت السيارة سا كنة تنتظر تغيير الأضواء ، وبدت الدنيا كلها كأنها تقف سا كنة حينما أحست أن ستان يضمها بقوة ، وشفتاه تهصران شفتيها فى قبلة عنيفة تذوب رقة كلما مرت الثوانى وغمر حواسها تأثير النشوة

ثم غمغم ستان : « باربارا الحبيبة ! »

لم تقل شيئاً تاركة السعادة تموج فوقها موجة إثر موجة .

وعند بابها ذهبت سعادتها وهو يقول : « سينقضى أسبوع قبل أن أراك مرة ثانية . »

فصاحت مدهوشة : « أسبوع ؟ »

— أجل ! لقد كنت أبغض أن أخبرك ، ولكن عمى أنبأنى أنه يتوقع أن أمكث فى شيكاغو حتى ينفض الاجتماع .

وإلى ما بعد ذهابه بيومين كانت ذكرى رقته تعاودها لتطير بها كلما دخلت مكتبه الخالى أو خرجت منه ، وأحياناً تقف رانية — فى غمرة من الشعور الحار — إلى قصاصات من ورق النشاف تركها مكتوبة كمذكرات . وكانت واقفة تفكر بجانب قمطره فى أصيل اليوم التالى حينما فتح الباب ونظرت مذهولة

لقد كان ستان — بقبعته وسترته ، حاملاً حقيبة سفره . ولكن الاجتماع لم ينفض بعد !

وقف أمامها ، وصدمتها النظرة التعيسة المرتسمة على وجهه . وشعرت بانقباض مفاجىء فى قلبها . هل عاد بسببها ؟

قالت بضعف : « ما — ما الخبر ؟ لِمَ لَمْ تمكث حتى ينفض الاجتماع ؟ »

فرمقها بهدوء .

ثم قال بقوة مثيرة ، وهو يطوح بحقيبته وقبعته فوق أحد المقاعد :

— لأنهم أخرجونى من المدينة بسخريتهم

فاكتشفت أنه غاضب ، وهى تقف مندهشة أولاً ثم مروعة .

وأردف ستان :

— كان هذا شيئاً جميلاً سببته لى بذلك الكتاب

فسألت مرتبكة :

— أى كتاب ؟

— أنت تعلمين أى كتاب أعنى . تلك الرسالة رسالة التحية للبائعين . كنت أظن دائماً أنك تحبين العمل معى ، وفى هذا ما يهم كلينا ، ونحن فى هذا المكتب ، ولم أكن أحلم قط أنك تلعبين معى حيلة كهذه

فصاحت يائسة :

— ستان ! لا أعرف عما تتكلم ، أى كتاب ؟

ووقفت إلى مقعدها قابضة بقوة على جزئه الخلفى

مرتبكة مجروحة الشعور ، بينما أخذ يقص عليها ما حدث فى شيكاغو :

— جلستُ فى غرفة الاجتماع الخاصة بعملاء وينتروب مصغياً إلى رسالتى يتلوها رئيس الاجتماع وكانت تلك الرسالة التى أمليتها عليك أحد الأسائل عن حب الأدب ، وأنت تعلمين جيداً أى رسالة أعنى ، وأحسبك أفدت منها سروراً عظيما

علق على ذلك بمرارة واستمر بغضب زائد :

ستسرين إذ تعلمين أنك نجحت فى جعلك منى مجنوناً كاملاً إذا كان هذا هو قصدك . كنت جالساً هناك مصغياً إلى رئيس الاجتماع وهو يقرأ كتابى بصوت مرتفع حينما قهقه كل شخص ضاحكا .

وهنا اختطف الورقة من جيبه وقرأ لباربارا :

ورسالة لكم أيها العملاء لتأخذوها لكل مدرس فى أمريكا . قل لها فقرة جديدة ، أيتها الحبيبة ، أحبك ، فقرة جديدة ، ضعى القلم ودعينى أحتويك بين ذراعى . أحبك ... أحبك يا باربارا . إنما شركة وينتروب نتيجة عرضية بجانب هذا الحب العظيم .

ألقى ستان الورقة فوق مكتبه ثم استدار ووقف ينظر نظرة هائلة خارج النافذة

وسقطت باربارا إعياء فوق مقعد بجوار مكتبه وعقلها يكافح ويناضل ليفهم كيف حدث هذا . وأدركت مروعة أن هذه كانت كلماتها . الكلمات التى كتبتها ذلك الأصيل حينما كان يملى عليها الرسالة والتى لم تكن تقصد أو تتوقع أن ترى

— أنا ... أنا كتبت هذه الكلمات فى « ورقة النشاف » ساهية

فاستدار غاضباً قائلا : « ساهية ! »

— أجل ! كانت بعض أفكار عديمة الفائدة خاصة بى . ولكنى لم أنسخ هذه الرسالة ، لا بد من أن تكون نسختها إحدى الفتيات من مذكراتى الخاصة عند ما كنت متغيبة

فوضح مؤكداً : « لقد نسختها لأنك لم تكونى بالمكتب فى ذلك اليوم ، إذ كنت مريضة حينما أعدت نسخها . كانت فتاة جديدة ، ولم تكن تتقن شيئاً » . وأضاف عابساً : « أحسبها ظنت هذا أسلوبنا فى الأدب »

فقالت باربارا مدافعة : « ولكنى أتيت فى اليوم التالى وكان الكتاب فوق مكتبك — ولقد شاهدته — فى انتظار موافقتك عليه »

فسار نحو النافذة فجأة وقال : « لقد أرسلته ولم أطلع عليه ثقة بك ، كذلك كنت فى عجلة من أمرى » . ثم نظر من فوق كتفه هازئاً وقال : « وكان هذا يوم أن تنزهنا فى حديقة سنترال »

فقالت باربارا فى ارتباك : « أذكر أنك كنت تريد أن تسمع كلاب البحر تنبح » . فقال بمرارة وهو يفكر فى اجتماع شيكاغو : « نعم ، ولقد نبحوا »

نهضت باربارا واتجهت صوب الباب ، مدركة بكل ألم النظرة المرتسمة على وجهه . وقالت وقد خذلتها شجاعتها : « بـ ... بالطبع أظن من الجلى تماماً أنى أعد مفصولة من هنا بعد هذا »

فقال موافقاً : « هذا ما يجب » وحملق خارج النافذة عابساً

وفى المكتب الخارجى أخرجت كل أشيائها الشخصية من قمطرها ، ثم أغلقته وقد شملها شعور الوداع لمسكن قديم . وبعد ربع ساعة كانت تركب « مصعداً » يهبط بها إلى الطريق ، وقلبها ينخلع كلما مرت بطابق ، وغشيت عينيها سحابة من الدموع حينما خطت فى شارع ماديسون . كانت تدرك وهى تسير مرتبكة أنها خلفت وراءها عملها ومستقبلها وسعادتها

أوت إلى منزلها وقضت باقى اليوم فى غرفتها

الصغيرة بخوف . ثم خرجت يومين تبحث عن عمل جديد فى الصباح ، ولكن بقلة اكتراث ، حتى أنها كانت تستسلم سريعاً وتمضى تدور فى الطرقات بتبلد وخمول ، كسيرة النفس ، محملقة فى نوافذ الحوانيت ، غير مبصرة ما تنظر إليه

وقفلت إلى منزلها مرة فى الظهر ، ولم تكد تغلق خلفها الباب حتى وجدت شخصاً آخر فى الدهليز فنظرت مدهوشة ، فقد رأت ستان !

كان يبسم لها — يبسم حقيقة — بسمة عريضة ووجب قلبها وجيباً سريعاً وطفق يقول : « باربارا ، أطلب الصفح . إنى آسف على أنى هجت هكذا فى المكتب . لقد كانت إحدى تلك النقط الوعرة وكان المفروض أن تعينينى على اجتيازها ، ولكنك تركتنى »

فقالت بثبات : « أتراهن على أنى أنا التى تركتك ؟ » ولكنها شعرت بخوف شديد من الضعف الذي استولى عليها

قال : « كنت أحمق إذ أخذت هذا الكتاب جدّياً هكذا . وإخالنى أدرك كيف حدث . بجانب هذا ، يظهر أن بعض العملاء فى الاجتماع عَزَوا ذلك إلى أن لى رأياً غريباً فى الكتابة المضحكة . وقد وصل إلى منهم عشرات من رسائل التقدير فإنهم استحسنوا هذا » ورن صوته فجأة متوسلاً : « عودى يا باربارا ألا تعودين ؟ لا أستطيع أن أسير فى الحياة بغيرك داخل المكتب أو خارجه »

فصاحت وقد طغت عليها موجة من السعادة : « ستان ! » وفى اللحظة التالية كان قد أحاطها بذراعيه وهو يقبلها

وهمس قريباً من أذنها وهو لا يزال ضاماً إياها إليه : « أيتها الحبيبة ، هل تقبلين الإملاء الآن ؟ »

حبست أنفاسها وهمست : إملاء ، الآن ؟ !

فقال فى صوت خافت ومثير : « نعم ، فقرة جديدة — زواج »

أبو بكر على

آمنوا لدى

شركة مصر لعموم التأمينات

احدى مؤسسات بنك مصر

تستثمر جميع أموالها فى القطر المصرى

وكلاء فى جميع أنحاء القطر وفى السودان

الحلم والحقيقة

عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

فى المكان المصون من قلب المرأة تختزن الذكريات العذبة لابتسامة ، أو للمس يد ، أو لصدى صوت من رجل تحبه . ولهذه الذكريات عبير فى ذلك المكان المستور من قلبها ، ولولاها لكان خالياً من كل شىء

لكن الرجل لا يختزن فى مثل هذا المكان من قلبه فى العادة إلا ذكريات اللعب كسباق أو مراهنة ، وإلا ذكريات النجاح ككسبه مالاً أو تفوقه فى عمل ، أما علاقاته مع النساء فهى فى درجة ثانوية بعد تلك الذكريات العزيزة

لكن « كلايف سلفرلى » لم يكن من هذا النوع من الرجال فقد كان يختزن فى ذاكرته صورة لا تقوى على محوها السنون ، وهى صورة فتاة ذات عينين سوداوين تثيران بلحاظهما مثل عواصف البحر العميق

وقد رأى هذه الفتاة فى مدينة « ريدل كومب » عند شاطئ الديفون . وكان قد ذهب إلى هذا المصيف وهو فى الحادية والعشرين من العمر فأدهشه عظم الفرق بين الحياة الهادئة فيه وبين ما اعتاده من الحياة فى لوندرا . وأعجب بجمال المصيف وبجمال تلك الفتاة واسمها جلورى ، فأعرب لها عن حبه وعن غبطته لها على حياتها فى هذا المكان

وكانت « جلورى » قد قضت كل سنيها فى تلك المدينة وملتها فأعربت له عن كرهها لها وسأمها منها . ولم تشاركه فى أى رأى من آرائه بل كانت تضحك ساخرة منها لكنها مع ذلك أوقدت فى قلبه مصباحاً مضيئاً من حبها ولما يمض على عهد تعارفهما ستة أيام

ولعل هذا الحب منشؤه شدة ما بينهما من التناقض وأنه من المدينة وهى من الريف ، فلدى كل منهما من الحديث ما يشوق الآخر أو لعل ذلك لأنها من ديفون ولأن حب ديفون جرى فى عروقه مجرى الدم

ومهما يكن من سبب حبه لها فإنه لما دنا اليوم الأخير من أيام أجازته الستة شعر كلايف بأن هذا هو اليوم الأخير من حياته . وما أحس فى يوم من الأيام بكره المدينة كما أحس بذلك وهو واقف أمام تلك الفتاة موقف الوداع . وقال إنه سيأتى إلى القرية فى أجازته فى العام المقبل ، فأجابته فى دلال بأنها لن تكون موجودة . ثم سطعت عيناها بنور متألق وقالت : « إننى لا أستطيع البقاء هنا طول العمر فأنت لا تدرك كم ألاقى من السأم والملالة فى هذه الوحدة وأريد أن أغير نظام حياتى . وسأذهب لألتحق بالمسرح »

وكان هذا هو أكبر أمل للفتاة . وأمر كلايف أصابعه بين خصل شعرها برقة وأدرك أنها تعنى كل

حرف مما تقول ولكنها لا تستطيع أن تفارق (ريدل كومب) . على أنه لم يقل ذلك بل ابتسم ابتسامة خفيفة وقال : « ولكننى سآتى وإذا لم أجدك فإنى لن أصفح عنك »

وكان آخر عهد له بها حينما كان يذرع الطريق إلى العاصمة وهى واقفة مكانها تلوح له بالمنديل . وبرّ بوعده فزار تلك المدينة فى العام التالى وفى كل عام تلاه من الأعوام الخمسة ولكن جلورى برت كذلك بقولها فإنها ذهبت ولا يعرف أحد إلى أين . وقد أخبروه بأن عمتها ماتت تاركة لها المنزل الذى كانت تقيم فيه وقليلاً من المال وأنها باعت المنزل وهجرت المدينة ...

ولما سمع كلايف هذا القول مر خاطر بذهنه . وشعر بأن جلورى لا بد أن تكون فى لوندرا لأنها الكعبة التى كانت تولى وجهها شطرها منذ سنوات .

ومضت سنوات ولم يرد كلايف أن ينتزع أمل لقائها من فؤاده . لكنه بمرور الزمن أدرك سخافة غايته لأن جلورى إن لم تكن قد نسيت الأيام الستة التى عرفها فيها فهى لا تعير تلك الأيام كبير اهتمام

ولما بلغ الحادية والثلاثين محا من ذهنه كل أمل بلقائها . لكن هذا الأمل بقى أقوى نزعة فى نفسها الضعيفة النزعات . ولم يجل بذهن كلايف أن يتزوج من امرأة أخرى ، فصرف كل جهوده إلى ترقية مستقبله ، ونجح من هذه الوجهة نجاحاً عظيما ، فقد أصبح صاحب ضيعة مثل التى بدأ حياته العملية موظفاً فيها وهى ضيعة المستر ماتيومان

وكان « ماتيومان » هذا أرملاً ولم يكن له من الأبناء غير بنت اسمها كلارا وهى اليوم فى الثامنة والعشرين ، وهى مثقفة أنيقة جعلت بيت أبيها بعنايتها من أكمل البيوت . وكانت دائماً هادئة جادة من جنس النساء اللواتى تذكر رؤيتهن بالحياة العائلية الوادعة ...

وكان كلايف وكلارا صديقين حميمين عدة أعوام ، وكان المستر « ماتيومان » يدعو كلايف إلى منزله فى مواعيد منتظمة فنشأت من هذه الزيارات فرص كثيرة لينفرد كلايف وكلارا

وكان « ماتيومان » كلما دعا كلايف إلى منزله احتج بأنه يريد كتابة رسائل ، أو مثل ذلك من المعاذير . وانسحب إلى مكتبه تاركا ابنته وموظفيه فتدعو تلك ضيفها إلى الحديقة أو تعزف له على البيانو أو تكتفى بالجلوس أمامه للحديث لتزيد من روابط الصداقة

ولم يخطر بباله قط أن مخدومه يدعوه إلى منزله لأى غرض يتعلق بابنته . لكنه فى يوم من الأيام أدرك الحقيقة بزوال الستار من أمام عينيه ، فإن ماتيومان ترك كلارا وكلايف وحدهما وكانا إذ ذاك يشتغلان بحل لغز منشور فى جريدة . وكان رأساهما متلاصقين فى أثناء اشتغالهما بذلك . وكانت يده على غير انتباه منه مسندة إلى ظهر النمرقة وراء ظهر الفتاة . وكان يقول لفظة لتكتبها فى حل اللغز ، وكانت تقول كلمة أخرى . وفى هذه اللحظة دخل ماتيومان . فلما رآهما متلاصقين قال : «أنا آسف» ثم أسرع بالالتفات وبالخروج من الغرفة

فنظر كل من كلايف وكلارا إلى الآخر فى دهشة وتظاهرت بأن الورقة سقطت من يدها ، شدت يدها لتأتى بها فلاحظ كلايف أنها ترتعش

وذهب كلايف إلى منزله فى هذا المساء وهو يفكر فيما حدث ، وقد كان ما حدث قليل الأهمية

فى ذاته ولكن الأمر الهام فيه هو مسلك الوالد

* * *

فى الصباح التالى كان ماتيومان يتكلم مع كلايف فى شأن من شئون العمل ، فلما انتهيا قال صاحب العمل : « إننى كنت فى العهد الأخير يا كلايف أفكر فى المستقبل فرأيت أنى فى نهاية أيامى وقد حان الوقت الذى يجب أن أطمئن فيه على نظام بيتى ونظام عملى وليس لى وارث غير كلارا ولا يستطيع القيام بأعمالى أكفأ منك ، فإذا مت الآن فإنها ستصير تحت رحمتك »

فتظاهر كلايف بأنه يمسح أذنه ، واستمر صاحب العمل يقول : « ولا شىء أحب إلىّ من أن أرا كما زوجين . وقد انتظرت على أمل أن أرى علامة على وجود الحب بينكما فلم أتبين ذلك إلا مساء أمس . والذى أقوله لك الآن هو أننى أوافق على زواجك منها إذا هى أرادت ذلك ، فاستمر فى طريقك معها ولا تنتظرا حتى أموت فإنكما الآن تضيعان أسعد أوقات الحياة »

ولما أتم ماتيومان جملته مشى مسرعاً نحو الباب ثم التفت وهو خارج وقال لكلايف : « أنا منتظرك اليوم للعشاء »

أسند كلايف ظهره إلى الكرسى وكان يهم بأن يقنع ماتيومان بأن الذى قاله ليس له أثر من الصحة ؛ لكن قوة مجهولة أسكتته ووجهت ذهنه فى اتجاهات مختلفة

ولماذا لا يتزوج من كلارا ؟ إنها فتاة لا يوجد بين الفتيات مثلها إلا واحدة فى كل ألف ، وهى مستجمعة لكل صفة يجب أن تتوافر فى المرأة الصالحة . لكنه لم يفكر قط فى الزواج منها ، فهل ذلك لأنها ابنة مخدومه ولأن مثلها يجب أن تبقى لمثله موضع احترام وإعجاب دون أن تكون موضع امتلاك ؟ أم لعل ذلك بسبب الأيام الستة التى قضاها مع جلورى منذ عشرة أعوام !

وتجسم فى ذهنه خيالها ؛ فوجد نفسه مضطراً إلى الموازنة بين فتاتين ، فجلورى تشبه العاصفة الثائرة ذات الزوابع والأعاصير ، وكلارا تشبه الصيف الهادىء وفيها من الصفات كل عزيز محبوب .

وهى دون جلورى فى الجمال : ولكن جمالها من النوع الذى يسعد الرجل ويشعره بالراحة والاطمئنان

وقال كلايف فى نفسه وهو يوازن هذه الموازنة بين الفتاتين : « نعم إن الحياة مع كلارا ماتيومان ستكون سعيدة ولكن جلورى ... ! »

وخال وهو يفكر فى الاسم الأخير أنه لم يسمع صوتاً آخر ينادى به ، ثم أظلمت الدنيا فى عينيه مقدار لحظة تبلج بعدها نور لا يراه إلا الشعراء فى تصوراتهم الخيالية . ورأى فى ذلك النور شاطىء البحر وهاتين العينين اللتين رآهما على شاطىء الديفون ، ورأى على الرمال الصفراء فتاته جالسة كما اعتادت الجلوس إلى جانبه ، وسمع صوتها وهى تحادثه فى كل الشئون مناقضة رأيه فى كل موضوع .

قام كلايف إلى النافذة وفتحها فأطل منها وهو بذلك يحاول أن يطرد هذه الرؤيا . وعاد إلى التفكير فقطب جبينه وأدرك اضطراره إلى مواجهة الحقيقة التى واجهه بها مخدومه وأدرك أن جلورى التى ظل يطاردها عشرة أعوام لا بد أن تكون قد نسيته ، وقد تكون الآن أمّا لعدة أبناء ؛ فلماذا يقضى حياته فى أحلام خاوية !

إنه سيصير سعيداً مع كلارا وها هى ذى كلارا أمامه

فوق مجالات الشكوك، وإذن فسيتزوج منها

وصل إلى هذا القرار فى بطء، ولكن فى يقين كما يصل إلى معرفة الحقيقة قائم لِسَوّه من النوم بعد حلم طويل سار

لقد كانت جلورى هى الحلم وكانت كلارا هى الحقيقة، واستعاد فى ذهنه أريج علاقاته مع كلارا فوجد أنها تحبه وتعنى به وأنها تعطف عليه عطفاً حقيقياً، وأدهشه أنه كان فى عمى عن هذه الحقائق عدة أعوام

وذهب إلى العشاء فلم يدهشه أن ماتيومان تخلف عن المنزل فى ذلك المساء. ووجد أن كلارا مرتدية أحب ثيابها إليها وهى أبسط ثيابها أيضاً، وهو ثوب قرنفلى اللون عارى الصدر له بدل الكمين وردتان على الكتفين تشبك عندهما أطراف هذه الغلالة وبدت له كلارا جميلة فى هذا الثوب كما ينبغى أن يكون الجمال

وبعد تناول العشاء جلسا فى قاعة الاستقبال واقترحت عليه عزف الموسيقى ولكنه أبى لعلمه أن أهم ساعة فى حياته آزفة وأن عليه أن يتهيأ لها، ولعل هذا الرفض آلمها لأنها بقيت مطرقة لحظة. ثم تناولت نسخة من مجلة ووقف كلايف ثم قال: « إن أباك كلمنى اليوم عن حادث الأمس »

ثم سكت مفكراً فنحّت وجهها كيلا يرى التأثر البادى عليه، ولكن ذلك كان بعد أن ظهر النور الساطع على عينيها والابتسامة المشرقة على شفتيها وبعد أن اختضب وجهها بلون الخمر

واستمر كلايف يقول: « فهل من الممكن أن يتحقق ذلك يا كلارا؟ إننى لا أجرؤ على الطلب فإن الذى أغرمه بذلك قليل والذى أكسبه كثير »

فأجابته: « إننى لم أكن أظن أنك تفكر فىّ فقد كان يبدو لى أنك بعيد جداً، وكنت أخال أن بينى وبينك فتاة أخرى تشغل أهم ركن من حياتك »

فاحمر وجه كلايف ووجم لأن هذه الكلمات أعادت إليه صورة جلورى. ورأى أن يفضى إلى كلارا بسره لأنه لم تعد حاجة إلى بقاء سر مكتوم، وحدثها فبدت على شفتيها ابتسامة غريبة وقالت: « لقد كنت أشعر بأن فى الأمر شيئاً من هذا القبيل؛ وليست كذلك قصتى فإنه لم يهتم بأمرى أى فتى ولم يرتبط قلبى بأى إنسان فاسمع قصتى: إننى أحب أن أكون صريحة معك كما كنت صريحاً معى. إننى أحسد صديقاتى الفتيات على أصحابهن من الفتيان وكنت أتمنى أن يكون هذا الصاحب دائماً، ولذلك كنت لا أحلم بالمخادنة بل بالزواج. وأخيراً جئت ... »

ثم تنفست طويلاً وقالت: « لقد كنت فى نظرى كما كانت جلورى فى نظرك. فإنك كنت الرجل الوحيد الذى عُنى بأمرى فنسجت أحلامى حولك. ولكن مرور الزمن أقنعنى بأنك تعيش فى عالم آخر وأن وجودى جاء عرضاً فى حياتك. ولم يسؤنى حبك لجلورى فقد كنت أنتظر أن يكون بقلبك مثل هذا الشاغل. وأنا أعجب بك لإكرامك ذكراها. ولكن هناك نقطة واحدة أريد أن أستوثق منها »

قال كلايف: « ما هى؟ » فقالت: « هب أنك قابلت جلورى مرة أخرى فهل ذلك يؤثر علينا؟ »

فقال كلايف بغير تردد: « كلا فليس سواك قادراً على إسعادى » وقد كان كلايف فى هذه اللحظة يعتقد صدق ما يقول وكانت كلارا تعتقد أيضاً

نزاهته لأنها لم تكن تشك فى أية لفظة مما يقول .

* * *

ثم انتقل كلايف وكلارا إلى الأرض المسحورة التى يقيم فيها العشاق وتبادلا الرأى فلم يظهر لأحدهما عائق يحول دون الزواج . وحددا يوماً بعد شهرين للزفاف .

ولما لم يبق إلا أسبوعان على هذا الموعد تلقت كلارا دعوة من زميل لها فى عهد الدراسة لإقامة حفلة الذكرى العاشرة لزواجه فاستصحبت كلايف وذهبت . ولكن تلك الدعوة التى وصفت بأنها وليمة لعدد صغير من الأصدقاء كانت تضم أكثر من مائة مدعوّ من مختلف الطبقات

وكانت كلارا جالسة تتحدث مع جمع عندما أقبلت عليها صديقة لتقدم إليها آنسة باسم مس أوسترلى وصفتها بأنها من أشهر الموسيقيات . ودار الحديث وكلايف لاهٍ عن جزء منه ولكنه تنبه عند ما سمع ذكر اسمه فقام ولكن ليواجه تلك الموسيقية وهى صاحبته جلورى

قالت مس أوسترلى : « أذكر أننى رأيتك يا مستر كلايف منذ عدة أعوام فى (ريدل كومب) فقال : « نعم »

ضحكت ورمته بنظرة قوية لتسبر غور نفسه . فقال : « إذن فأنت لم تنسى . وقد نلتقى مرة أخرى لنتحدث مثل أحاديثنا السالفة .

رمقت جلورى كلارا بنظرة ثم نظرت إلى كلايف نظرة أخرى قامت على أثرها . وقال كلايف لخطيبته : هذه هى جلورى . فهزت رأسها ، وقد بدت عليها علائم التفكير ، وكانت عيناها مثل عينى كلايف تراقبان حركات هذا الجسم الجميل .

كان كلايف يحاول أن يعود إلى طبيعته فيتكلم متبسطاً ، ولكن أنى له ذلك وقد وجد جلورى ، واسترد من عمره عشرة أعوام . لقد رآها مرة أخرى ورأته وانجلى عبء الأعوام التى كانت تفصل بينهما

ولم يكن مرور الزمن لينقصها شيئاً من جمالها فهى الآن كما كانت فى المصيف ، وقد تحققت أمنيتها فأصبحت من كبريات الممثلات ، ولو أنه كان من هواة المسرح لالتقى بها من زمن بعيد . وشعر فى أعماق نفسه بصوت يسأله : لماذا لم يكن كذلك . ومهما يكن العزم الذى اعتزمه فيما يتعلق بالزواج فإنه أصر على ألا تضيع فرصة لقائها دون أن ينتهزها فطلب إليها إعادة عهد قصير كتلك الأيام الستة

وبدأ الرقص فرقص كلايف مرتين مع كلارا ، ثم قال لها فجأة : أريد أن أكلم جلورى مرة أخرى يا كلارا إن لم يكن لك اعتراض ، أما إذا اعترضت فلا . فترددت كلارا ، ثم ابتسمت ابتسامة لا يعرف أحد كم كلفتها من العناء . غير أنها عادت إلى نفسها وقالت : لا أرى مانعاً بحال من الأحوال .

وقد كانت أكثر إدراكاً من كلايف نفسه لحقيقة الشعور الذى شعر به . ولكنها مع ذلك تركته يذهب لملاقاتها .

ومشى إلى حيث كانت جلورى جالسة ، ودعاها إلى الرقص ، وظهر وهما يرقصان أنهما تناولا طرفى خيط الصداقة القديمة الذى قد كانا فقداه . وقالت له وهى ترميه بنظرة قاتلة : إنك لا تدرى مقدار شعوري بالإهانة من وجودى وإياك فى مدينة واحدة عدة سنوات ، ثم لا تحاول البحث عنى

فقال : إننى لست من هواة المسرح ، ولم أر قط صورتك فى جريدة .

قالت : « لقد كنت أظن أنك لا تريد . وقطعت الأمل من زمن بعيد »

ثم أبرقت عيناها ، وهى تنظر إليه فقال وهو كالمسحور: «ها أنت ذى هنا وشعورى نحوك كما كان ولكن ألم تعودى إلى ريدل كومب ؟ »

وهنا امتنع العزف وانتهى الرقص ؛ فقادته إلى القاعة وهو يقول فى نفسه : « إننى أشعر الآن بأنى عدت أصغر مما كنت بعشرة أعوام »

وأشعل لفافة من التبغ ، وتناولها بيد ترتعش كراكب السفينة الصغيرة عند هبوب العاصفة فأجابته : « لم أستطع الذهاب فى العامين الأولين وظننت أنك نسيت »

قال : « إننى لم أنس »

فقالت مقاطعة: «حتى رأيت كلارا ماتيومان»

قال : « إننى لم أنس حتى بعد معرفتها ، وقد أخبرتها عنك فقد ظننت أنك تزوجت » فقالت مستنكرة : « أنا ؟ »

وكأن الفكرة أدهشتها فقالت : « لماذا ؟ »

وتغيرت ملامح وجهها فجأة وقالت : « لقد كنت حقاً وفية بالعهد » فقال : أحقاً ؟

لكن جلورى لم تجبه وهزت كتفيها وظهرت على وجهها علائم ليس من السهل أن تبين كنه الشعور الذى تعبر عنه، فقال كلايف: « هل كنت تنتظرين كل هذه السنين الطويلة ؟

ألقى هذا السؤال وانتظر الرد وهو يكاد يكون منقطع الأنفاس، وظلت جلورى مطرقة . وأجابت: « إن كان الأمر كذلك فقد كان الانتظار على غير جدوى »

لم يجبها كلايف فى الحال . ولعل ذلك لأنه لم يستطع الجواب . ولم يلحظ هو فى هذه الحالة شبحاً يفتح الستار ثم يطل ويعود . وعادت جلورى إلى الكلام فقالت : « هل فات الأوان ؟ إنك لم تتزوج بعد ... ! »

فعرت جسم كلايف رعشة ، فقالت : « يجب أن أذهب حتى لا تحوم حولك شبهة ... إننى ممثلة وصناعتى تثير الظنون »

قال كلايف : « ولكن ... »

فقاطعته قائلة : « لا معنى للكن، إن لك حبيبة وإن لى كثيرين وإذا كنت تريد معرفتى على هذا الاعتبار فها هى ذى بطاقتى »

ثم فتحت حقيبتها وناولته بطاقتها وهى تقول ساخرة : « إننى سأنتظرك عشرة أعوام »

فجلس كلايف يفكر تفكير من يريد أن يخرج من وسط الفوضى نظاماً . ولما تنبه سأل عن كلارا فقيل له إنها استطالت غيابه فعادت إلى منزلها. فصدمه هذا النبأ ونبهه إلى ما أتى من عدم اللياقة حيث ترك خطيبته وحدها طول هذه المدة

لكن تنبهه إلى ذلك لم يمح من ذهنه نشوة الحديث مع جلورى وقال فى نفسه : إنه لا فائدة من اللحاق بكلارا إلى بيتها فقد تكون الآن نائمة وإن فى استطاعته زيارتها فى صباح اليوم التالى

لكنه فى الصباح وجد رسالة على مائدة الإفطار ووجد هذا نصها :

« عزيزى كلايف

إنك بالأمس قابلت جلورى وقد تبينت مكانتها عندك ، فكتبت لك هذا لأمنع عنك التقيد بى . ولك ما تصبو إليه نفسك ، وأرجو ألا تفكر فى شعورى لأنى لن أستطيع الزواج منك مع العلم

بأنك تحب جلورى ، ولا تلم نفسك فإنك كنت فى نهاية الصراحة معى »

لقد أطلقت كلارا سراحه وشعر كلايف بأنه فى حلم فوضع على رأسه وعلى ذراعه قبعته ومعطفه وذهب إلى بيت جلورى فوجده بيتاً فخماً به أفخم الأثاث ، وكانت جلورى فى هذا الوقت نائمة فانتظر عشرين دقيقة ثم دخل بغير استئذان فقالت : « هذه مفاجأة »

قال : « نعم هى كذلك » ثم تاولها خطاب كلارا لتقرأه ، فقرأته مسرعة وقالت متهكمة : « يظهر أنها تحبك كثيراً لأنها أطلقت سراحك بهذه السرعة » فقال : « إنها ليست كذلك وأنت لا تستطيعين فهمها يا جلورى »

قالت : « ولماذا جئت لى بهذا الخطاب ؟ » فقال : « لا أدرى ولكن هذا هو الأمر الوحيد الذى استطعت أن أؤديه »

وكانت كلماته هذه هى الحقيقة البسيطة ، فقالت جلورى : « إننا لا نستطيع أن نتزوج حتى شهر يونيو فإن حكمى رهين بذلك الوقت »

قال : « حكم ماذا ؟ » فقالت : « حكم طلاق »

قال : « لقد ظننت أنك لم تتزوجى » فابتسمت ابتسامة غريبة وقالت : « إننى لم أقل هذا ولكنك أردت أن تفهم ما بدالك . لقد تزوجت مرتين فهل يدهشك ذلك ؟ »

فوقف كلايف ورأى على وجهها علائم دلت على أنها ليست تعنى ما تقول فبدا عليه الارتباك ، ولما رأته كذلك ضحكت وقالت : حياة كل منا مرسومة على نهج يناقض نهج الآخر . إننى لم أتفق معك من قبل على أى رأى فى أى موضوع فهل تذكر غير هذا ؟

فتذكر كلايف كيف كانت فى لقائها الأخير تهزأ به وهى تودعه وأدرك أنها تعيش معيشة على غير ما كان يظن

ونادت جلوري الخادمة وأمرتها بأن تخبر اللورد جلنكى ببعض الشئون، ففتح الرجل فمه كالأبله وقال لجلورى : « هل أنت اللادى جلنكى ؟ »

قالت : « نعم . ولم لا ؟ »

فمشى كلايف توًّا إلى بيت ماتيومان . وكانت كلارا إذ ذاك تؤدى بعض ما اعتادته من أعمال الصباح . ولما رآها — وكانت ممتعضة — قال : « إننى لا أريد الحرية التى تهبينها فقد كنت أحمق وعرفت الآن معنى الحب »

وهنا أبرقت عيناها وانطبعت على ثغرها ابتسامة وعرفت عرفان من لا يخالجه الشك أن كلايف يحبها وأن سحر جلورى قد تلاشى .

وليس الحب شروداً فى الخيال ولا اشتغال خاطر بل هو رابطة قلبية أقوى علائمها توافق الفكر .

عبد اللطيف النشار

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألمانى

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهى قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنها ١٥ قرشا

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبتديان — عابدين)